مقدمة في علم اللغة

أ.د/ أحمد عارف حجازي

مقدمة

هذه محاضرات في علم اللغة العام لطلاب الدارسين للغة الأولى ، وقد توخينا فيها البساطة والتسهيل وعدم الخوض في التفاصـــيل إلا لضـــرورة علمية لشرح غامض أو تفصيل مدمج ، وقسمناها إلى فصول أربعة وهي :

الفصل الأول : نشأة اللغة الإنسانية

الفصل الثاني : علم اللسانيات الوصفية

الفصل الثالث :علم اللسانيات الالتاريخية

الفصل الرابع : علم اللسانيات المقارنة

والله الموفق إلى كل خير

الفصل الأول

نشأة اللغة الإنسانية

□

اختلف العلماء كثيراً حول موضوع نشأة اللغة الإنسانية ولهم فيه آراء متنوعة تصطبغ بصبغة فلسفية مبنية على الظن والتخمين لعدم وجود أدلة علمية قاطعة على هذه الآراء المتنوعة : مما أدى ببعض دارسي اللغة المحدثين إلى عدم الاهتمام بهذا الموضوع أو تناوله باختصار على سبيل أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية ، التي قد يكون من المفيد إلمام طالب علم اللغة بها [١].

ونعرض هنا لبعض هذه الآراء والنظريات التي حاول بها العلماء قديماً وحديثاً تفسير نشأة اللغة الإنسانية .

النظرية الأولى : <u>مذهب " الوحي والإلهام " أو " مذهب التوقيف":</u>

(١) انظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبدالتواب ، ص ١٠٩ وما بعدها .

وقد قال بهذا الرأي الفيلسوف اليونـــاني " هيراكليـــت" heraclite وفي العصور الوسطى قـــال بـــه ابـــن فـــارس اللغوي[٢] يرى أصحاب هذا المذهب أن الله سبحانه وتعالى ، لما خلق الأشياء ألهم آدم عليه السلام أن يضع لهـــا أســـماء فوضعها .

وأدلتهم في ذلك أدلة نقلية من الكتب السماوية فـــاليهود والنصارى يستدلون بالنص الآتي الـــوارد فـــي التـــوراة : " وجبل الربُ الإلهُ من الأرض كلُ حيوانات البرية وكلُ طيورِ السماء ، فأحضرهم إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمًها فسمى آدم جميع البهـــائم ، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية "[٣] .

ويعرض السيوطي آراء القائلين بأن اللغة توقيفية ويذكر وجوه الاحتجاج لها كالآتي :

---

(٢) انظر :علم اللغة ، د . علي عبدالواحد وافي ، طـــ٩ ، القاهرة ، ص٩٧

(٣) سفر التكوين ١٩/٣-٢٠ ، وراجع المدخل إلى علـــم اللغـــة ، د. رمضـــان عبـــدالتواب ، ص١١٠.

أولها : قوله تعالى : چ□□□□□□□□□□چچچ□□چ[٤] .

فلقد عرف آدم الأسماء كلها مـــن الله تعـــالى بـــالتعلم ، وكذلك الأفعال والحروف إذ الأفعال والحروف تعتبر أســـماء لأن الاسم ما كان علامة ، وتقسيم الكلمات إلى أسماء وأفعال وحروف من فعل النحاة لا من اللغة ، ولأن التكلم بالأســـماء وحدها متعذر .

ثانيهما : أنه سبحانه وتعالى ذم قوماً في إطلاقهم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى : چ□□□□□□□چ [٥] وذلك يقتضي كون الأسماء الباقية توقيفية .

وثالثهما : قوله تعالى : چ□□□□□□□□□چ [٦] والألســـنة اللحمانية غير مرادة

([٤]) سورة البقرة ٣١.

([٥]) سورة : النجم من الآية ٢٣.

([٦]) سورة الروم ٢٢.

لعدم اختلافها ، ولأن بدائع الصنع في غير أكثر ، فالمراد هنا اللغات.

ورابعهما : وهو دليل عقلي – لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام ... وهكذا ، وهذا محال فلابد من الانتهاء إلى التوقيف[٧] .

وهكذا يعرض السيوطي آراء القائلين بأن اللغة توقيفية ثم يقول في الجواب عن حجج أصحاب التوقيف لم لا يجوز أن يكون المراد من تعليم الأسماء الإلهام إلى وضعها [٨] ؟

ومذهب القول بأن اللغة توقيف من الله تعالى اختاره ابن فارس اللغوي في كتابه الصحابي في فقه اللغة ، وشرح ابن

---

(٧)المزهري للسيوطي ١٨/١ وما بعدها .

(٨) المرجع السابق ١٩/١.

جني هذا المذهب بقوله : وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها (٩) .

النظرية الثانية : المواضعة والاصطلاح :

وقد حاولت هذه النظرية تفسير نشأة اللغة الإنسانية : بأنها مواضعة واتفاق بين الناطقين بها ، بحيث كان ارتجال الالفاظ أساساً في بناء اللغة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني " ديموكريت" democrite (من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد) وفي العصور الوسطى كثير من الباحثين في فقه اللغة العربية وفي العصور الحديثة الفلاسفة الإنجليز " آدم سميث " adam smith و " ريد" reid ، ودجلد ستيورات dugald stewart .

وترعض لتصوير ابن جني لرأي أصحاب هذا الرأي حين يقول : كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة

---

(٩) الخصائص لابن جني ١/٤٠-٤١.

ولفظاً إذا ذكر عرف به مسماه ، ليمتاز عن غيره .. فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه ، وقالوا إنسان إنسان ... فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به ذها الضرب من المخلوق ، وإن أرادوا سمة عينة أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يد ... عين ... رأي ... قدم ... أو نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها ... ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة في غيرها فتقول : الذي اسمه (إنسان) فليجعل مكانه (مراد) [١٠] والذي اسمه (رأس) فليجعل في [١١] وعلى هذا بقية الكلام ... وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لالات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ ، ولكن لابد لأولها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيماء " [١٢]

---

(١٠) كلمة فارسية بمعنى إنسان .

(١١) كلمة فارسية بمعنى رأس.

(١٢) الخصائص لابن جني ٤٤/١.

ويعلق الدكتور علي عبدالواحد وافي على هذا الرأي الساذج بقوله " وليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي بل إن ما تقرره ليتعارض مع القواميس العامة التي تسير عليها النظم الإجتماعية فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها – هذا إلى أن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل [١٣].

وقد رأينا في عرض السيوطي لاحتجاج القائلين بنظرية التوقيف رفضهم لنظرية المواضعة حين قالوا : لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام .

النظرية الثالثة : نظرية المحاكاة onomatopoeia :

(١٣) علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ص٩٨ ، وانظر في علم اللغة العام ، د. عبدالصبور شاهين ص٧٩ والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها أو انها نتيجة تقليد مباشر لاصوات الطبيعة التي تصدر عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء .

وقد عرض ابن جني لهذا الرأي فقال : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات والمسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات من ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل [١٤] .

ولكن ابن جني يعود فيشعر أن موضوع نشأة اللغة هذا من موضوعات التي تنتمي إلى " ما وراء الطبيعة " لذلك فإن القول فيه بكلمة قاطعة ليس من السهولة بمكان ، وليس من اليسير أن يقال في مثل هذا الموضوع كلمة قاطعة فيقول " واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث

---

(١٤) الخصائص لابن جني ٤٨/١.

عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري .

وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاف والرقة ، ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك واراد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي"(١٥).

ولكن عقل ابن جنى اللغوي ما زال يعمل وما زال ينقب حتى عاد إلى الحيرة في مثل هذا الموضوع فقال : " ثم أقول في ضد هذا كما وضع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على

(١٥) الخصائص لابن جني ٤٨/١.

تأمل هذه الحكمة الرّائعة الباهرة ، كذلك لا ننكر أن يكـــون الله تعالى قد خلق من قبلنا – وإن مداه عنا – من كان ألطف منـــا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجرأ جفائاً ، فأقف بين تين الخلتـــين حسيراً ، وأكثرهما فأنكفئ مكثورا ، وإن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف بإحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها قلنا به وبالله التوفيق " [١٦] .

مذهب ابن جني في هذا الموضوع هو عدم الجـــزم بأخـــذ الرأيين وإن كنا رأينا له كلمة جيدة في موضـــوع نشـــأة اللغـــة بصفة عامة حين قال في بداية حديثه عنه : " وذلك أن قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها " [١٧] .

وقد دافع عن مذهب المحاكاة من علمـــاء الغـــرب العـــالم الألماني " هردر" harder في كتابه " بحوث في نشأة اللغة " ثم تراجع عن هذا الرأي في آخر حياته ، وقد يوهم بصحة هذه

([١٦]) الخصائص لابن جني ٤٨/١.

([١٧]) المرجع السابق، ٤٨/١.

النظرية ما نجده في بعض الكلمات المحاكية للطبيعة من تشابه في بعض اللغات من ذلك كلمة " الهمس " فهي في العربية " همس " وفي الإنجليزية "whiser" وفي الألمانية " فلوسترن " flustern وفي العبرية " صفصف وفي الحبشية فاصيpp وفي التركية "سوسمك " susmak ، ففي هذه الكلمة بين هذه اللغات عامل مشترك هو صوت الصفير "السين" أو " الصاد " وهو صوت قد يكون مميزاً لعملية الهمس في الطبيعة ، غير أن اشتراك اللغات في الكلمات المحاكية للطبيعة على هذا النحو ، أمر نادر ، ولو كانت النظرية صحيحة للاحظنا اشتراكاً بين اللغات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة ، مثل : الشق والدق والقطع والصهيل ، والعواء ، والمواء ، وما إلى ذلك [١٨] .

ولقد عرض فردينان دي سوسير لموضوع محاكاة بعض الألفاظ للأصوات فرأى أنها بالإضافة إلى قلتها في الطبيعة اعتباطية أيضاً قال : " أما الكلمات المحاكية للصوت الحقيقية

(١٨) انظر المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٢.

(مثل : glou- glou ، وغرغر ، وبق بـــق إلـــخ ...) فليست قليلة العدد فحسب بل إن اختيارها أمر اعتباطي بمقدار ، لأنها ليست سوى محاكاة تقريبية وبالتالي شبه تواضعية لبعض الأصوات (لنقارن بين قولنا في العربية لمحاكاة صوت الكلـــب (هبهب) وقولهم فـــي الفرنســـية (أوا أوا) (oua – oua) والألمانية (واو واو wau- wau) أضف إلى ذلك أنهـــا بعـــد دخولها في اللغة يجرها تيار التطور الصوتي أو الصرفي إلخ ، إن قليلاً وإن كثيراً " [١٩] .

ويرى بعض العلماء بناء على نظرية المحاكاة أن مناســـبة اللفظ للمعاني مناسبة [٢٠] حتمية ، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه

([١٩]) دروس في الألسنية العامة فردينان دي سوسير (الترجمة العربية) ص١١١ وما بعدها .

([٢٠]) المناسبة الحتمية بين اللفظ والمعنى أمر غير ممكن في اللغة وإلا لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض ، وقد قام علماؤنا الأوائل بالبحث عن مناسبة ما بين اللفظ ومعناه فنجـــد أبن جني يعقد باباً في كتابه الخصائص بعنوان " في إمساس الألفاظ أشباه المعاني " ١٥٤/٢ قال فيه اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبيويه ، ونقلته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحته .

النظرية ما نجده في بعض الكلمات المحاكية للطبيعة من تشابه في بعض اللغات من ذلك كلمة " الهمس " فهي في العربية " همس " وفي الإنجليزية " whiser " وفي الألمانية " فلوسترن " flustern وفي العبرية " صفصف وفي الحبشية فاضي وفي التركية " سوسمك susmak، ففي هذه الكلمة بين هذه اللغات عامل مشترك هو صوت الصفير " السين " أو الصاد " وهو صوت قد يكون مميزاً لعملية الهمس في الطبيعة ، غير أن اشتراك اللغات في الكلمات المحاكية للطبيعة على هذا النحو ، أمر نادر ، ولو كانت النظرية صحيحة للاحظنا اشتراكاً بين اللغات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة ، مثل : الشق والدق والقطع والصهيل ، والعواء والمواء ، وما إلى ذلك [٢١] .

ولقد عرض فردينان دي سوسير لموضوع محاكاة بعض الألفاظ للأصوات فرأى أنها بالإضافة إلى قلتها في الطبيعة اعتباطية أيضاً قال: " أما الكلمات المحاكية للصوت الحقيقية

---

(٢١) انظر المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ، ص١١٢ .

(مثل : glou- glou ، وغرغر ، وبق بـــق إلــــخ ...) فليست قليلة العدد فحسب بل إن اختيارها أمر اعتباطي بمقدار ، لأنها ليست سوى محاكاة تقريبية وبالتالي شبه تواضعية لبعض الأصوات (لنقارن بين قولنا في العربية لمحاكاة صوت الكلـــب (هبهب) وقولهم في الفرنســـية (أوا أوا) (oua – oua) والألمانية (واو واو wau- wau) أضف إلى ذلك أنهـــا بعـــد دخولها في اللغة يجرها تيار التطور الصوتي أو الصرفي إلخ ، إن قليلاً وإن كثيراً " [٢٢] .

ويرى بعض العلماء بناء على نظرية المحاكاة أن مناســـبة اللفظ للمعاني مناسبة [٢٣] حتمية ، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه

---

(٢٢) دروس في الألسنية العامة فردينان دي سوسير (الترجمة العربية) ص١١١ وما بعدها .

(٢٣) المناسبة الحتمية بين اللفظ والمعنى أمر غير ممكن في اللغة وإلا لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض ، وقد قام علماؤنا الأوائل بالبحث عن مناسبة ما بين اللفظ ومعناه فنجـــد أبن جني يعقد باباً في كتابه الخصائص بعنوان " في إمساس الألفاظ أشباه المعاني " ١٥٤/٢ قال فيه اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبيويه ، ونقلته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحتهقال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صـــر وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر ، وقال سيبويه في المصادر التـــي جـــاءت على الفعلان : إنها للاضطراب والحركة ، نحو النقزان والغليان ، والغثيان قـــالوا بالتـــالي =

دلالة وجوب لا انفكاك فيها ، وممن نادى بهذا الــرأي : " عياد ابن سليمان الصميري " من المعتزلة فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية ، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك ، بإزاء هذا المعنى أو ذلك ، ويروي عن بعــض من تابعه على رأيه هذا ، أنه كان يقول : إنه يعرف مناسبة

=حركات المثال توالي حركات الأفعال ، ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما وجدوه ، ومنهاج ما مثلا ، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضــعفة تــأتي للتكريــر نحــو الزعزعة والقلقلة ، ووجدت أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو البشكى والجمزي ، .. ومن ذلك وهو – أصنع منه – أنهم جعلوا (استفعل) في أكثــر الأمــر للطلب نحو : استسقي واستطعم .. ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا كسر وقطع وفتح وغلق ..... ، الخصائص لابن جني ٢/١٥٤ وما بعدها .

ألفاظ لمعانيها ، فسئل عن معنى كلمة " إذغـاغ " وهـي بالفارسية : الحجر – كما يقولون فقال : أجد فيه يبسـاً شـديداً وأراه الحجر(٢٤) .

وقد ذكر السيوطي إنكار العلماء للمناسبة الحتمية بين اللفظ ومعناه وفرق بين ما رآه بعضهم كابن جني وسيبويه من إمساس الألفاظ أشباه المعاني وبين قول الصيمري بوجود مناسبة حتمية، قال السيوط : " وأنكـر الجمهـور هـذه المقالـة (أي مقالـة الصميري) وقال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كـل لغة ، ولما صح وضح اللفظ للضدين ، كـالقراء : " للحـيض والطهر ، والجون للأبيض والأسود ... وأما أهل العربية فقـد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعـاني لكـن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتيـة موجبـة بخلافهم (٢٥)

(٢٤) المزهر للسيوطي ٤٧/١ وراجع المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١١ وما بعدها.

(٢٥) المزهر للسيوطي ٤٧/١ ، وراجع دراسات في فقه اللغة د. صبحي صالح ص ١٤٨.

وفرديناند دي سوسير من علماء اللغة المحدثين – يرى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه اعتباطية بمعنى أنه لا توجد هناك علاقة منطقية أو طبيعية بالضرورة بين الدوال اللغوية ومدلولاتها ، فإن الأمر في ذلك يرجع إلى ما اصطلح عليه أفراد المجموعة اللغوية المعينة ، فهم يصطلحون على أن هذا الدال يعني هذا للمدلول يرى دي سوسير : أن " الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي أو بعبارة أخرى : وبما أننا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج من الجمع بين الدال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسط : إن الدليل اللغوي اعتباطي .

وهكذا فإن التصور الذهني " أخت " لا تربطه أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالي : الهمزة والضمة والخاء والتاء والتنوين الي يقوم له دالا ، فمن الممكن أن تمثله أية مجموعة

أخرى من الأصوات التي يوؤيد ذلك ما يوجد بين اللغات من فوارق في تسمية الأشياء بل واختلاف اللغات نفسه "[٢٦] .

النظرية الرابعة : نظرية التنفيس عن النفس :

يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك مرحلة سابقة لمرحلة الألفاظ تلك المرحلة هي مرحلة كان يطلق فيها الإنسان القديم أصواتاً ساذجة تلقائية يعبر بها عن ألمه أو مرضه أو غضبه أو رضاه ثم تطورات هذه الصيحات حتى صارت ألفاظاً .

وهم يرون أن اللغة في الأصل قد تكون مجرد غناء ، ينظم بوزنه حركة المشي ، أو العمل اليدوي ، أو كصيحة الحيوان ، تعبر عن الألم أو الفرح ثم اعتبرت هذه الصيحة – بعد أن زودت بقيمة رمزية – كأنها إشارة قابلة لأن يكررها الآخرون ، وقد يكون الإنسان وقد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح

(٢٦) دروس الألسنية العامة فردينان دي سوسير ص١١١ وما بعدها .

- اختار هذه الإشارات واستعملها للاتصال ببني جنسه ، أو لإشارتهم إلى عمل ما أو لمنعهم منه [٢٧].

وتعد هذه النظرية ناقصة لأنها لا توضح لنا نشأة الكلمات الكثيرة التي لا ترد إلى أصوات انفعالية وهي نظرية غامضة أيضاً لأنها لا تبين لنا كيف تحولت هذه الصيحات أو هذه الأصوات الانفعالية إلى ألفاظ ذات مقاطع صوتية [٢٨].

النظرية الخامسة : نظرية الغريزة والانفعال :

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الإنسان مزود بغريزة خاصة تحمله على التعبير عن كل مدرك ، حسي أو معنوي بكلمة خاصة به ، كما أن غريزة " التعبير الطبيعي عن الانفعالات " تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة مثل : (انقباض الأسارير وانبساطها وقوف شعر الرأس

---

(٢٧) انظر اللغة فندريس ص٣٨ والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٥ .

(٢٨) المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٦.

والضحك والبكاء) كلما قامت بـــه حالـــة انفعاليـــة كالغضـــب والخوف والحزن والسرور ، وأنها كانت متحـــدة عنـــد جميـــع الأفراد في طبيعتها ، ووظائفها ، وما يصدر عنها ، وأنه يفصل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عنـــد الجماعـــات الإنسانية الأولى ، فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم ، وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنســـان هـــذه الغريـــزة فانقرضت شيئاً فشيئاً [٢٩].

ويعترض بعض العلماء على هـــذه النظريـــة بـــأن هـــذه الأصوات فجائية منعزلة عن الكلام أو التكلم الذي يصدر عـــن المرء بصورة إرادية فبينها وبين الكلمات فجوة تجعلنا نعد تلـــك الأصوات صورة سلبية للكلام ، فليست تصدر عـــن المـــرء إلا حين يعيبه القول ، أو حين يأبى الكلام ، هذا إلى أن كثيراً مـــن تلك الأصوات الغريزية يشتمل على عناصر صوتية لا نكاد

(٢٩) انظر : في علم اللغة العام د.عبدالصبور شاهين ص٣٣.

نسمعها في كلام البشر مثل أصوات اللين المهموسة والشــــهقات التي تنشأ مع دخول الهواء إلى الرئتين (٣٠).

النظرية السادسة : نظرية الاستعداد الفطري :

يرى أصحاب هذه النظرية أن الإنســـان مـــزود بفطرتــــه بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة ، كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه ، بأية وسيلة من الوســـائل ، غيـــر أن هذه القدرة على النطق بالألفاظ لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة ، أو في الوقت المناسب وقد أطلق على هـــذه النظريـــة اللغـــوي الألماني " مكس مولار " نظرية (دنج دُنج) وهو بذلك يريـــد أن يشبه هذه القوة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها ، ويشبه حوادث الزمن بيندول الساعة الذي يتحـــرك فيخـــرج بتحركة القوة الكامنة في الساعة التي ينطوي عليها اللولـــب فالزمن ومقتضيات الأحوال هي التي تخرج هذه القدرة من

---

(٣٠) المرجع السابق ص٧٣ وانظر علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ص١٠٠ والمدخل إلـــى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٦.

حيز القوة إلى حيز الفعل ، كأن النفس البشرية مخزن ممتلــئ بالألفاظ ، ينفتح شيئاً فشئاً بمفتاح الــزمن ومقتضــيات الحيــاة الواقعية[٣١] .

ولكن متى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟

وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟

ولماذا اختلفت اللغات وتعــددت اللهجــات ؟ كــل هــذه التساؤلات تجعل هذه النظرية قاصرة عن بيان الحقيقة ، أضف إلى ذلك أنها تفترض ظهور الكلمة أو الكلمــات الأولــى لــدى الإنسان ، كاملة غير خاضعة لسنة التطور[٣٢] .

النظرية السابعة : نظرية التطور اللغوي :

وتعد هذه النظرية من أحدث الآراء في تصور نشأة اللغــة وقد ذهب إلى القول بهذه النظرية فريق من اللغويين المحدثين

(٣١) انظر المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٦.

(٣٢) المرجع السابق ص١١٦.

، وعلى رأسهم (جسبر سن) وقد بنوا نظريتهم هذه على أسس ثلاثة [٣٣]:

١- دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال .
٢- دراسة اللغة في الأمم البدائية .
٣- دراسة تاريخية للتطور اللغوي .

ويبدو من المراحل السابقة أن القائلين بهذه النظرية تأثروا بنظرية التطور العام ، التـــي أذاعهـــا (داورن) (Darwin) وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامة ، وفـــي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة [٣٤].

اهتم أصحاب هذه النظرية بمتابعة نمو الطفل منذ كان جنينـــاً في بطن أمه ورأوا أن المراحل التي يمر بها في هذه الفتـــرة هي ذاتها المراحل التي مر بها الإنسان منذ نشأته الأولى

---

(٣٣) انظر : في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٣ وما بعدها .

(٣٤) انظر المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٩.

فزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة متماشية مع مراحل نموه العقلي ، وهذه المراحل هي :

١- مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان في عصوره الأولى حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة ، وميوله ورغباته غير محدودة ، ورأوا أن هذه المرحلة لها نظير في الطفل في أول عهده حين ينطق بأصوات مبهمة لا يفهم منها في كثير من الأحيان رغبة ولا غرض معين [٣٥].

ومن المعروف أن الأطفال في المهد يستغلون جهاز نطقهم في إنتاج بعض المقاطع الغريبة ، ويبدأ نطقهم منذ الساعات الأولى لولادتهم ، بأصوات يصعب تصويرها ، وإن كانت قريبة من صوتي النون والغين ويرى الدكتور عبدالصبور شاهين أن نوع الأصوات في هذه المرحلة ربما كان سبباً في جمل العربية تسمى هذه المرحلة مرحلة (المناغاة)

---

[٣٥] المرجع السابق ص١١٩.

، وعلى رأسهم (جسبر سن) وقد بنوا نظريتهم هذه على أسس ثلاثة [٣٦]:

٤- دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال .

٥- دراسة اللغة في الأمم البدائية .

٦- دراسة تاريخية للتطور اللغوي .

ويبدو من المراحل السابقة أن القائلين بهذه النظرية تأثروا بنظرية التطور العام ، التي أذاعها (دارون) (Darwin) وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامة ، وفي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة [٣٧].

اهتم أصحاب هذه النظرية بمتابعة نمو الطفل منذ كان جنيناً في بطن أمه ورأوا أن المراحل التي يمر بها في هذه الفترة هي ذاتها المراحل التي مر بها الإنسان منذ نشأته الأولى

---

(٣٦) انظر : في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٣ وما بعدها .

(٣٧) انظر المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١١٩.

فزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة متماشية مع مراحل نموه العقلي ، وهذه المراحل هي :

١- مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان في عصوره الأولى حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة ، وميوله ورغباته غير محدودة ، ورأوا أن هذه المرحلة لها نظير في الطفل في أول عهده حين ينطق بأصوات مبهمة لا يفهم منها في كثير من الأحيان رغبة ولا غرض معين [٣٨].

ومن المعروف أن الأطفال في المهد يستغلون جهاز نطقهم في إنتاج بعض المقاطع الغريبة ، ويبدأ نطقهم منذ الساعات الأولى لولادتهم ، بأصوات يصعب تصويرها ، وإن كانت قريبة من صوتي النون والغين ويرى الدكتور عبدالصبور شاهين أن نوع الأصوات في هذه المرحلة ربما كان سبباً في جمل العربية تسمى هذه المرحلة مرحلة (المناغاة)

---

(٣٨) المرجع السابق ص١١٩.

وأنه ليس من قبيل الصدفة أن تأتي (نغا) و(لغا) بمعنى الكلام ، فالنغوة : الكلمة ، والنغية : ما يعجبك من صـــوت أو كلام ، ويميل الدكتور عبدالصبور شاهين إلى اعتبار مادة (نغا) أصلاً تاريخياً لمادة (لغا) وكان (لغة) أصلها (نُغَةً) في هــذا التقدير[39].

٢- مرحلة الأصوات المكيفة (٤٠) المنبنة عن غرض أو رغبة وهي أصوات مصحوبة بإشارات متنوعة تساعد الأصوات مساعدة فطرية في توضيح الأغراض ، وقد ساعد على ذلك نمو أعضاء النطق من جهة والإحساس بالشـــعور الـــذاتي لـــدى الإنسان من جهة أخرى ، وتناظر هذه المرحلة تلك المرحلـــة التي يصل إليها الطفل في أواخر السنة الأولى من حياتـــه وذلك حين يصدر أصواتاً تدل على شعوره بالخوف أو

[39] انظر في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٥.

[40] المقصود بالكيفة هنا هو أنها متنوعة لاختلافها عن الشدة والرخاوة والجهر والهمس ومـــا إلى ذلك ، انظر المدخل إلى علم اللغة ص١١٩.

الحنين أو الغضب أو الرضا أو القلق أو الاضطراب أو الحاجة إلى المساعدة [٤١].

٣- مرحلة امقاطع ، يرون فيها أن لغة الإنسان انتقلت من أصوات غير محددة المعالم إلى أصوات محددة في صـــورة مقاطع قصيرة مستنبطة من أصوات الأشـــياء أو الظـــواهر الطبيعية أو على الأقل متأثرة بها ، وتناظر هذه المرحلة ما نراه عن الطفل في الشهور الأولى من السنة الثانيـــة حـــين ينطق بأصوات متوالية متشابهة ، وهي غالباً صوت "الباء" : (بابا) ويعد قليل ينطق (ماما) هكذا يحدث في جميع أطفـــال العالم ، وهو الذي جعل لهذين الصوتين دلالة مشتركة تقريباً بين جميع اللغات ، حيث يوجد صوت الباء في الكلمة التـــي تعني (الأب) : وصوت الميم في الكلمة التي تعني (الأم)[٤٢].

---

(٤١) المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١٢٠.

(٤٢) في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٥.

وكذلك ينطق بمقاطع متكررة ، يطلب بها ما يريد ، أو يدل على أشياء معينة ، متأثراً في ذلك بما يسمعه مما حوله من الحيوانات ، أو من يرى في محيطه من الناس ، ولا يزال يكرر هذه المقاطع حتى تنطبع في نفسه وتتكون منها لغته البدائية ، وكثير من الأطفال يطلقون في هذه السنة كلمة " هو هو " على الكلب وكذلك " نو نو " على القط و" تك تك " على الساعة وغير ذلك [٤٣].

٤- مرحلة الكلمات المكونة من مقاطع :

وهم يرون أن الإنسان قد وصل إلى هذه المرحلة حين اكتمل عقله ونضجت أعضاؤه الصوتية واتسع نطاق حياته الاجتماعية ، وكثرت رغباته واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره ، وتناظر هذه المرحلة عند الطفل مرحلة القدرة على الكلام عنده وهي تنقسم إلى قسمين :

أ- فترة اللغة الصغيرة الخاصة بالطفل :

---

[٤٣] المدخل إلى علم اللغة ص١٢٠.

والمقصود باللغة الصغيرة اللغة التي يحدثها الطفل لنفسه بالتقليد تقليداً غيرمحكم من حوله من الكبار ، والطفل في هذه الفترة (منفرد) شيئاً ما من الناحية اللغوية ، فالكلام الذي ينطق به يبعد بعداً بيناً عن " الأصل" الذي يحاول أن يقلده وكثير مما ينطقه في هذه الفترة لا يكون مفهوماً إلا في نطاق بيئته الضيقة أي أفراد أسرته ، أما البعيدون عن أسرته فقد لا يفهمون لغته جيداً ، فقد يقول أحد الأطفال المصريين (مًّ) بدلاً من (ميه) ، وآية بدلا من (كُبَّاية) وإكَّ بدلاً من (إكرام) إلخ[٤٤].

ب- فترة اللغة المشتركة ، أي لغة الجماعة :

وفي هذه الفترة يكون خضوع الطفل للمجتمع ، وتأثره به آخذاً في الازدياد شيئاً فشيئاً ، فيتخلص من لغته الصغيرة

---

(٤٤) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص٢٧ وانظر في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٦.

الفردية إلى أن يصبح كلامه أشد انتظاماً ، وأقرب إلـــى كـــلام الكبار وأوضح عند من يحيطون به وعند الغرباء جميعاً [٤٥].

٥- مرحلة الوضع والاصطلاح :

وهذه المرحلة وإن لم تكن فطرية فإنها تقوم على أســـاس فطري وذلك هو حاجة الإنسان الماسة إلـــى أن يحتـــك ببيئتـــه ورغبته في أن تساير لغته تفكيره وعقله ومشاهدته التي يتســـع نطاقها على مر الأيام ، وكثرة التجارب ، وتشعب دروب الحياة ، وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية ، وابتكـــرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة ، ولا تزال اللغة تنمـــو باطراد ولا يزال عند مفرداتها يزداد كلما تحضـــر الإنســـان ، ويقابل هذه المرحلة النمو اللغوي عند الطفل عندما يذهب إلـــى المدرسة ويدرس العلوم والفنون ويتعلم بعـــض المصـــطلحات العلمية والفنية المختلفة .

([٤٥]) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص٢٧.

وهذه النظرية تتميز بإخضاعها نشأة اللغة وتطويرها إلى سنة التطور العام شانها في ذلك شأن كل كائن حي ، كذلك توضيحها للسر في نمو اللغة من حيث متنها وأليبها بسبب سلوك الإنسان مسلك الرقي والتقدم ، وأيضاً هذه النظرية لا تمنع دخول أكثر من عامل في نشأة اللغة وتطورها كالمحاكاة أو التعبير التلقائي عن الرغبات ، أو الاشتقاق ، ووضع المصطلحات ، ولكن هذه النظرية مع ما ذكرنا لها من مميزات في قياسها المراحل التي مرت بها لغة الإنسان بالمراحل التي تمر بها لغة الطفل بها " بعض الغلو لأن الظروف التي يعيشها الطفل الآن لا يمكن أن تقاس بما عاناه الإنسان من ظروف في مراحله الأولى .

إن الطفل في تعلمه للغة لا يتعدى عملية التقليد للأصوات التي تصدر عن أبويه ، فهو يبدأ أولا بتقليد الأصوات تقليداً عارياً عن الدلالة وبذلك يكتسب مراناً على بعض المقاطع التي يجد في ترديدها لذة وسعادة ، وهي في الوقت نفسه سهلة على جهازه النطقي ، وهو في مزاولته هذه العملية يكتسب عادة

جديدة هي الربط بين الأصوات التي ينطقهـــا ، وبعــض المدلولات التي يتاح له إدراكها .

ولعل الطفل في هذه المرحلة قد تميز تماماً عن الإنســـان الأول الذي لم يجد أمامه نمطاً يقلده أو نموذجاً يحتذيه (٤٦).

ولكن الطفل – كما هو معروف – محاط بوالديه وأســـرته الذين لا يملون من ترديد المقاطع التـــي يتفـــوه بهـــا الطفـــل ، ويصلحون له أخطاءه ، وحتى يصل إلى مرحلة النضج اللغوي، ولم يكن هذا الأمر متيسراً للإنسان الأول (٤٧).

تلك أهم النظريات التي عرضت لنشأة اللغة الإنسانية وهي كما ترى لم تقدم حلاً كاملاً لهذه القضية مما جعل الكثيرين من العلماء يرون أن البحث في هذا الموضوع من الأمور الفلســـفية الميتافيزيقية التي تجعل الباحث فيها يخرج عن الموضـــوعية ، وعن نطاق الحقائق العلمية وإلى البحث في أمور قديمة قدم

(٤٦) في علم اللغة العام د. عبدالصبور شاهين ص٧٤.

(٤٧) انظر : المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص١٢٣.

الإنسان نفسه وإن كان من المفيد لتوضيح أهمية اللغة وقدم مشكلتها أن يتساءل دارس اللغة عن نشأتها مهما كانـت هـذه النشأة عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل ، والإثارة خيال الدارسين حولها وهو أمر لا يخلو من فائدة [٤٨].

(٤٨) انظر في علم اللغة العام د.عبدالصبور شاهين ص٨٣.

الفصل الثاني

اللسانيات الوصفية

Descriptive linguistics

يهتم المنهج الوصفي في الدراسة اللغوية ، بوصف لغة معينة أو لهجة معينة ، في بيئة معينة ، في زمن معين ، وذلك بمستوياتها الأربعة وهي : الصوت والصرف والنحو والدلالة. phonetics, morphology, suntax, semantics

ويقتصر عمل الباحث في هذا المجال الوصفي على الوصف فقط ، دون تفضيل استعمال لغوي على استعمال آخر ، في ضوئ معيار أو مقياس لغوي ما ، ومن ذلك مثلاً :

١- وصف الأصوات في لهجة الواحات الخارجة ، بالوادي الجديد بمصر ، وذلك من حيث مخارجها ، وصفاتها بين الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة والانطباق والانفتاح والمقاطع الصوتية والظواهر الفونولوجية .

٢- وصف البنى الصرفية في ديوان امرئ القيس ، وذلك من حيث اشتقاق الكلمات ، وصوغ المشتقات الصرفية للدلالة على المعاني المتعددة مثل :

- صيغة الماضي والمضارع والأمر والنفي ، في الفعل .
- صيغة صفة الفاعل والمفعول والزمان والمكان والمصدر.

٣- وصف الجملة في لزوميات أبي العلاء المعري ،

وذلك من حيث :

- تقسيمها إلى اسمية وفعلية .
- أركان كل قسم منهما .
- ما لهُ محل وما ليس له محل من الإعراب .
- تقسيمها إلى كبرى وصغرى .
- تحولها من كبرى إلى صغرى .
- تحولها من الإثبات إلى النفي .
- تحولها من الإقرار إلى الإنشاء (الاستفهام).

٤- وصف الألفاظ ومعانيها ودلالتها في لهجة شـــمال غرب مصر (مرسى مطروح) ، وذلك من حيث :

- العلاقة بين اللفظ ومعناه .
- كيفية دلالة اللفظ على المعنى المراد .
- الدلالة الاصطلاحية واللغوية .

ولعل أول من انتبه إلى المنهج الوصفي ، ووضع له اسمه هو فرينان دي سوســـير (١٨٥٧:١٩١٣م) f.desaussare وهو عالم لغة سويسري ، ولد في سويسرا ، وتعلم حتى حصل على الدكتوراه ، ثم عين أستاذاً لعلم اللغة في جامعة جنيف ، ولعــل أشهر ما كتبه في علم اللغة ، هو محاضـــراته

شهيرة التي جمعها تلميذاه شال بـــاللي وألبـــرت سشـــاهي ، بعنوان : محاضرات فـــي علـــم اللغـــة العـــام cours de linguistique gener وقد ترجمها إلى العربية ثلاثة هم :

١- صالح القرمادي في تونس بعنوان (دروس في لســـنية العامة).
٢- أحمد فؤاد كراعين في الأردن ، بعنوان (فصول فـــي علم اللغة العام).
٣- يئيل يوسف عزيز في العراق ، بعنوان (علـــم اللغـــة العام)، وقد تأثر دي سوسير بخمسة علمـــاء محـــدثين هم:

١- كورتيوس G.curtius
٢- ويتني whitiney
٣- يودوان دي كورتين B.De Courtenay
٤- بيرس ch.s.pierce
٥- إميل دوركيم e. Durkheim (انظـــر : r.h.robens j.r.firth p.١٥ p.p.١٩٩-٢) والنحو العربي والـــدرس حديث ٢٥-٢٧ وعلم اللغة النظري ٨٤-٨٥).

وقد أرسى دي سوسير في كتابه هذا قواعد المنهج

الوصفي وأسسه ، رأي أن اللغة لابد أن تدرس من خلال هذا المنهج ، وأن تكون دراستها لذاتها ومن أجـل ذاتهـا ، لا بغرض تفصيل استعمال على آخر بل للصف والتحليـل فقـط لرصد مرحلة لغوية ، أو واقع لغي ما .

نعرض الآن لبعض ما جاء في كتابه السابق من آراء ،مع الالتزام بالإجمال ، والبعد عن التفصيلات .

تاريخ البحوث اللغوية

أرخ دي سوسير للبحوث اللغوية قبلة ، ورأى أن هذا العلم (علم اللغة) قد مر بثلاث مراحل هي :

١- مرحلة القواعد grammar

وتعني الاهتمام بقواعد تركيب الجملة ، أي ما يسمى في الانجليزية grammar ، دون الدخول في علاقة الكلم بعضه مع بعض ، بالتقديم أو التأخير ، أو التنكير ، أو التعريف ، ووجدت هذه المرحلة عند قدماء المصريين في مدرسة الإسكندرية ، واليونان القدماء والهنود .

٢- مرحلة الفيلولوجيا philology

وتعني الاهتمام بنشر النصوص القديمة ، ومحاولة تقديمها في عصر غير العصر الذي كتبت فيه ، بصورة تتناسب مع مقتضيات العصر الجديد ، وقد ظهرت هذه المرحلة على يد فريدريك أوجست وولف f.august wolf سنة ١٧٧٧ م ، في أوربا .

" وليست اللغة هي الهدف الوحيد لهذه الحركة ، فقد اهتم علماء فقه اللغة بتصحيح النصوص المتكوبة وشرحها والتعليق

عليها ، كما شجعت هذه الدراسة أصحابها على الاهتمام بالتاريخ الأدبي ، وبالعادات التقاليد ، والنظم الاجتماعية وغيرها ، وقد استهدم هؤلاء العلماء أساليب النقد في دراستهم ، وكان هدفهم من دراسة المسائل اللغوية مقارنة النصوص ، التي كتبت في فترات زمنية مختلفة ، لمعرفة اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص ، وحل رموز بعض اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها " (علم اللغة العام ص١٩).

٣- مرحلة فقه اللغة المقارن comparative philology

وهي المرحلة التي سبق الحديث عنها آنفاً ، وبدأت باكتشاف اللغة السنسكريتية ، ومقارنتها باللغات الهندو أوربية ، على يد وليم جونز وفرانزبوب .

تعريف علم اللغة

عرف دي سوسير علم اللغة بأنه العلم الذي يدرس اللغة من خلال مجالات معينة هي :

١- وصف تاريخ جميع اللغات المعروفة .

وذلك يعني تتبع تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة لغوية .

٢- تحديد القوى الفاعلة على تغير اللغة على اختلافها واستنتاج القواعد العامة عن جميع الظواهر التاريخية الخاصة.

وذلك مع تحديد طبيعة هذا العلم ووظيفته

أما طبيعته فهي " تضم جميع مظاهر الكلام عند الإنسان ، سواء كان ذلك في المجتمعات البدائية أم المتمدنة ، في الفترات الكلاسيكية أو الفترة المتأخرة ، فلا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح واللغة المنمقة فحسب ، بل جميع أنواع التعبيرات الأخرى أيضاً ، والمستويات اللغوية المختلفة .

" يضاف إلى كل ذلك شيء آخر ، وهو طالما أن اللغوي لا يستطيع أن يلاحظ اللسان مباشرة- في أغلب الأحيان

فعليه أن يدرس النصوص المكتوبة حيث لا يستطيع التوصل إلى التعبيرات التي تبتعد عنه من حيث الزمان أو المكان إلا من خلال هذه النصوص " . (في علم اللغة العام ٢٤)

تعريف اللغة

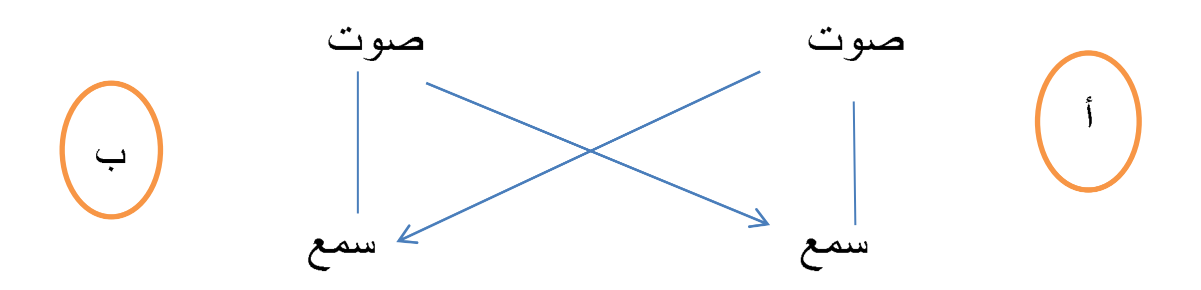
اللغة عند دي سوسير ظاهرة اجتماعية ، تتكون من نظــام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار ، وهي شيء محدد تحديداً واضحاً ، ضمن الكتلة غير المتجانسة لعناصر اللسان ، ويمكن تحديد موقعها في الجزء المحدد لدائرة الكلام ، في المكان الذي ترتبط فيه الصورة السمعية بالفكرة ، فهي الجانب الاجتمــاعي للسان ، وتقع خارج الفرد الذي لا يستطيع أبــداً أن يخلقهــا أو يجورها بمفرده ، فلا جود للغة إلا بنوع من الاتفاق الذي توصل إليه أعضاء مجتمع معين .

وعلى الفرد أن يقضي فترة معينة يتعلم فيها وظيفة اللغة ، فالطفل يدرك هذه الوظيفة بصورة تدريجية ، حيــث إن اللغــة شيء متميز جداً فإذا فقد المرء استخدام الكلام فإنه يبقى محتفظاً بها ، إذا كان يستطيع فهم الإشارات الصوتية التــي يســمعها . (انظر علم اللغة ٣٣)

فهنا نرى أن اللغة نظام اجتماعي ، لابد له مــن مجتمــع مميز كي يوجد فيه ، وأقل الأفراد الذين تنشأ بينهم اللغة اثنان ، على أن تكون لها صورة سمعية وصورة صوتية لديهما .

فإذا تكلم شخصان هما " أ، ب" فإن المتكلم " أ" ينشئ اللغة بصورة صوتية أولاً ، ثم تسمعها أذنا المخاطب " ب" الذي يتحول عند السمع إلى صورة صوتية ينقلها إلى المتحدث الآخر " أ" فيسمعها بصورة سمعية معينة ، وهكذا .

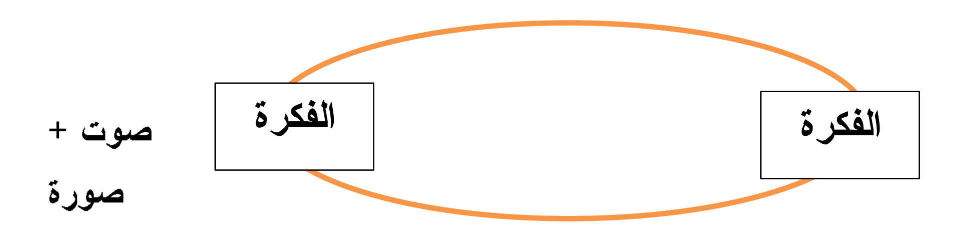
نوضح ذلك بالرسم التالي . (انظر : علم اللغة ٢٩) .



وانتقال اللغة في الهواء من الصورة النطقية إلى السورة السمعية والعكس يمر بعملية وظيفية فسيولوجية ، حيث تمر الموجات السمعية إلى مركز السمع في الدماغ ، فيحدث ربط بين هذا المنطوق المسموع وبين تلك الذاكرة المختزن فيها آلاف الكلمات.

عندئذ يتخير المفرد ما يمكن أن يرد به على ذلك المسموع، في صورة نطقية على أن يفهم الشخص المراد بالكلمة المسموعة أو الفكرة وما لها من صورة معينة في ذهنه ، أي يربط بين الفكرة وصورتها ومعناها .

وذلك على النحول التالي (انظر : علم اللغة العام ٣٠)



العملية الصوتية العملية السمعية

ومن هنا رأى أن اللغة شكل form وليست مادة substance ويجب أن تدرس في ضوء علاقتها بمتحدثيها ومشاعرهم النفسية ، وهو ما نادى به همبولت Humboldt (١٧٦٧-١٨٣٥م) وهي نسق من العلاقات sings أو الرموز synolsمع عشوائية الرمز اللغوي ، كما يجب تجميعها من عدة أنظمة ، صوتية ، صرفية ، نحوية ، ودلالية (انظر : D.f.de Saussure p.p.٧.٩,١٣,crystal p.p. ١٠١-١٠٣ وبناء الجملة في لهجة الواحات الخارجة ٤٦).

اللغة والكلام واللسان

ميز دي سوسير بين ثلاثة مصطلحات في علم اللغة هي :

أ- اللغة language

ب- اللغة المعينة أو اللسان langue

جـ الكلام parole

وهو يعني باللغة عموم اللغة أو تلك الأصوات التي يستخدمها المجتمع البشري كله ، فهو هنا يقصد ذلك النشاط اللغوي كله على اختلافه بين الشعوب والأمم فهناك الفرنسية والانجليزية والعربية والسلافية والحبشية .. إلخ .

كما يقصد بمصطلح اللغة المعينة أو اللسان ، ذلك المخزون اللفظي الذي يعبر عن المعاني المختلفة في أذهان الجماعة اللغوية وهو الذي يختلف من شعب لآخر ، أي هو اللغة المعينة التي هي قدرة المتكلم على استخدام اللغة المعينة التي هي قدرة المتكلم على استخدام اللغة ، وهو نفسه ما عبر عنه تشومسكي بعد ذلك بالكفاءة اللغوية .

ويعني بمصطلح الكلام الأداء الفعلي للغة واستخدامها

في صورة منطوق كلامي ، وهو ما يختلف من فرد لآخر وهو ما عبر عنه تشومسكي بالأداء performance .

ونوجز هنا بعض الفوارق بين اللغة والكلام .

أ- اللغة نظام اجتماعي ، والكلام فردي .

فاللغة ليست وظيفة فرد ، بل هي نتاج يهضمه الفرد بصورة سلبية ، ولا تحتاج إلى تأمل سابق ، ويدخل فيها التفكير من باب التصنيف فقط .

ب- اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة ، فاللغات البائدة – مع أنها لم تعد تستخدم في الكلام –نستطيع بسهولة أن نتعلم أنظمتها اللغوية، فنتخلص من بقية عناصر اللسان الأخرى ، بل إن علم اللغة لا وجود له إلا إذا اقصيت العناصر الأخرى في رأيه.

جـ - اللغة متجانسة ، أما اللسان فهو غير متجانس ، فاللغة نظام من الإشارات ، وجوهره الوحيد الوحيد هو الربط بين المعاني والصور الصوتية وكلا طرفي الإشارة نفسي سيكولجي .

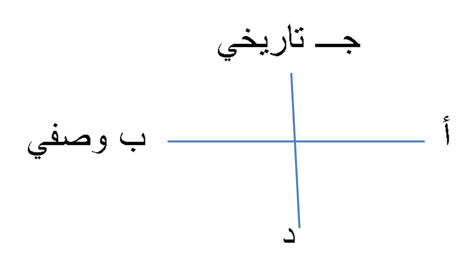
وهذه الإشارات والعلامات عشوائية لا منطق لها .

د- اللغة شيء ملموس وكذلك الكلام ملموس أيضاً .

فالإشارة للغوية – مع أنها سيكولوجية في جوهرها – ليست تجريدية ، والارتباطات التي تحمل الطابع الجماعي وموافقة المجموعة التي من مجموعها تتألف اللغة ، هي أشياء حقيقية لها وجود في الدماغ ، وكذلك الإشارات اللغوية يمكن إداركها بالحواس ، حيث يمكن تحويلها إلى رموز كتابية تقليدية ، في حين يصعب علينا أن نقدم صوراً لأفعال الكلام . (انظر في هذا العرض : علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ٣٧٢و ٣٧٤ ومناهج البحث في اللغة ٣١–٣٩ والمدخل إلى علم اللغة ١٨٣و ١٨٤ ولغات البشر ٣١٠و والصوامت والصوائت ٣٢–٣٣ ونظرية النحو العربي ٢٧ والألسنية مبادئها وأعلامها ١٢–٣٨–٦٢ والنحو العربي والدرس الحديث ٣٤–٣١و ١٢٤–١٢٦ وعلم اللغة النظري ٨٦–١١٦ وعلم اللغة العام ٣٣–٣٧ وفصول في علم اللغة العام ٣٧–٣٩و ٤٤، ١٢٤، ١٤٠، ٤٠٦ ودروس في الألسنية العامة ٣٤–٣٧، ٤١، ١١٩،١٢١ ،١٢٤، ٣٤٧ و٢٠٠ m,r.h.robins ,p.p.١٩٩ d.crystal; p.p.١٠١,j.b.carroll;p.١٩٩,halliday;p.١٤٨.w.sallen; p.١٤٨,j.lyons;p.١٤,١٥-١٠٣,١٥٩,١٦٢

الدراسة الوصفية التاريخي

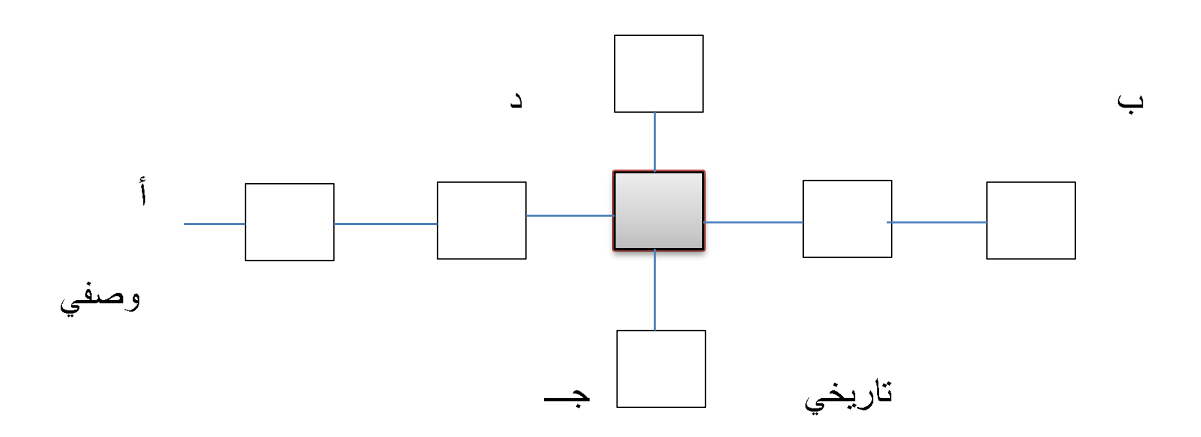
الدراسة الوصفية تتعرض لفترة ما في حياة اللغـــة ، أمـــا التاريخية فهي متحركة ، وقد مثل دي سوسير للدراسة الوصفية بالخط الأفقي وللتاريخي بالخط الرأسي ، وهكذا :



وتبعاً لنظريته تلك يتقاطع الخطان ولا يتوازيان ، وقد بنى علـــى ذلك مقولته ، أن لا تتوافق الحقيقة التاريخية مع الحقيقة الوصفية بل تتناقضـــان (انظـــر : فـــي تلـــك القضـــية : r.d. crystal; p.١٥٦,١٦٠,١٦٣,١٦٤ , h.robins ; p.p ١٩٩.٢٠٠, john lyons ; p.١٦٨,jhon b. carroll; p.١٩ وفصول فـــي علـــم اللغة العام ٥٥، ١٨٥، ١٦٠، ١٦٨،١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٧، ٢٢٣، ٢٣٦ ، ٢٤٦،٣٧١ ، ودروس فـــي الألســـنية العامـــة ١٦٥،١٦٧، ٢٠١،٢٠٤،٣١٩، والمدخل إلى علم اللغة ١٨٣، ١٨٤، واللغة بـــين العقل والمغامرة ١٢٧،١٢٨، ١٦٨، ١٦٩ والنحو العربي

والدرس الحديث ٣٠، ٣٢ والألسنية –مبادئها وأعلامهـــا ١٤ ، وفقه اللغة في الكتب العربية ٢١، وعلم اللغة النظري ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٩٢ وفي علم اللغة العام ١٨، وأصول تراثية ٥٢– ٥٤) ، وهي مقولة خاطئة ، إذ إن الدراسة الوصفية هي أساس الدراسة التاريخية ، لأن وصف الحقائق اللغوية ، في مرحلة تاريخية ما تقوم عليه الدراسة التاريخية ، فلو كان عندنا في العربيـــة آيـــة دراسات وصفية لمراحل اللغة فـــي عصـــورها الســـابقة ، إذن لقامت دراسات تاريخية عليها ، صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة .

ولذلك الخطان اللذان مثل لهمـــا دي سوســـير بالدراســـة الوصفية والتاريخية هنا مجموعتان من الحلقات أو المربعات ، ولابد أن تتلاقى المجموعتان في نقطة معينة وذلك كما يلـــي . (هذا الشكل من اقتراح أستاذنا الكرسم د.رمضان عبدالتواب)



اهتمامه بالشكل دون المعنى

From and meaning

وقد ظهر ذلك من خلال تعريفه اللغة ، حيث اعتبرها شكلاً from وليست مادة substance فلم يتناول المعنى في هذا التعريف ، كما رآها نظاماً من العلامات signs الاعتباطية العشوائية ، وقد أدى ذلك إلى نفيه أي علاقة أو ارتباط بين اللفظ والمعنى ، حين حكم بأن العلامة اللغوية عشوائية ، ولا معنى لها في ذاتها ، كما أن العلاقة بين هذه الرموز والمعاني التي تدل عليها عشوائية ، (انظر : , ;j.f.walleork p.١٩.p١٢٢ ;j.b.carroll;p.١٩,n.chomsky وفصول في علم اللغة العام ١٢٤. ١٤١ ودروس في الألسنية العامة ١١٩، ١٢١ ، ١٢٤ ومناهج البحث في اللغة ٣٤ وعلم اللغة بين العقل زالمغامرة ١٥٧، ١٨٥) .

العلاقات السياقية والاستدعائية

Syntagmatic and paradigmatic relations

يختص هذان المفهومان عند دي سوسير بالعلاقات القائمة بين أجزاء الجملة المكتوبة أو المنطوقة ، فالمحرر السياقي هو الذي يبين تجاور العناصر في الجملة والعلاقة بينهما ، حسب القواعد التركيبية الخاصة باللغة ، أما المحور الاستدعائي فهو ما يظهر عبر تشابه ترتيب العناصر اللغوية في الجملة .

ففي جملة مثل : (هذا طالب كلية الدراسات العربية بالمنيا) يمكن أن نجد المحور السياقي متمثلاً في ترتيب العناصر اللغوية ، حيث نجد الضمير الإشاري (هذا) ، ثم المشار إليه النكرة (طالب) ، ثم المضاف إليه (كلية) وهكذا ...

وهذا الترتيب بين هذه العناصر لازم ، حيث يخضع للقوانين التركيبية للغة العربية .

ولا تكتسب هذه العناصر قيمتها إلا من خلال اختلاف بعضها مع بعض مما هو سابق أو لاحق ، وبذلك لا يمكن النطق بهذه العناصر كلها دفعى واحة في وقت واحد ، فلا يمكن

أن ننطق كلمة (هذا وكلمة (طالب) مثلاً في وقت واحد ، بـــل يأخذ نطق كل منهما وقتاً معيناً ، مع تتابع هذا النطق .

أما المحور الاستدعائي فيتمثل فيما تثيره تلك العناصر في الذهن ، فمثلاً كلمة (طالب) تثير في ذهن السامع أو القـــارئ تداعيات معينة مثل (العلم- الكتاب- ذكاؤه- المواد الدراســـية التي يدرســـها – ملبســـه – علاقاتـــه الاجتماعيـــة – قدراتـــه العلمية.... الخ) .

وقد يمسى المحور السياقي الحضوري أو الركن الأفقي أو علاقة الحضور ، والمحور الاستدعائي يسمى علاقة الغيبـــة أو المحور الغيبي أو الاستبدالي أو العمودي .

ويلاحظ أن تداعيات المحور الاستدعائي غير محـــددة ولا مرتبة ، حيث تخضع لذهن المتلقي أو السامع أو القرائ وتلـــك عكس علاقات المحور السياقي التي هي محدودة مرتبة حســـب قوانين اللغة التركيبية .

وإذا كانت للغة وظيفة ، وهي التعامل بين البشر ، ونقـــل الأفكار والمشاعر ، فلا تفاضل بين لغة وأخرى ، إذ كلها تؤدي

هذه الوظيفة ، وتعيش حية على ألسنة المتكلمين بها .

لذلك يجب أن تدرس ذاتها ومن أجل ذاتها دراسة وصـــفية descriptive وليســـت معياريـــة narmative . (r.h . d.crystal; p.p. ١٠١;١٠٣,١٥٩,١٦٢,robins;p.p.١٩٩-٢٠٠,jhon lyons;j.r.firth p.١٧ ,m.a.k.halliday;p.١٩٩,w.s.allen p.١٤٨,john lyons ;p.١٤-١٥,p.١٧٠) ، وهذا المنهج المعياري هو الذي اتخـــذه جميع نحاة العربية في مؤلفاتهم بدءاً من ســـيبويه (ت١٧هـــــ) حتى السيوطي (ت٩١١هــ) ، حيث اتخـــذوا القـــرآن الكـــريم مستوى لغوياً ميعارياً ، يقيسون عليه ما عداه مـــن النصـــوص اللغوية ، سواء الشعرية أم النثرية ، وندلل على ذلـــك بـــالنص التالي لسيبويه .

" هذا باب نا سنتصب لأنه قبيح أ يوصف بما بعده ويبنـــى على ما قبله ، وذلك قولك : هذا قائماً رجل ، وفيها قائماً رجل ، لما يجز أن توصف الصفة الاسم ، كما قـــبح : مـــررت بقـــائم وأتاني قائم ، جعلت القائم حالاً ، وكان المبني على الكلام الأول ما بعده .

ولو حسن أن تقول : فيها قائم اجاز فيها قائم رجــل ، لا على الصدق ، ولكنه لما قال فيها قائم اجاز فيها قائم ، قيل لــه من هو ؟ وما هو ؟ فقال : رجل أو عبدالله ، وقد يجوز علــى ضعفه ، وحمل هذا النصب على جواز : فيها رجــل قائمــاً ، وصار حين آخر وجه لكلام من القبح " (الكتاب ٢/١٢٢) .

فهو هنا يصف الجملتين : فيها قائم رجل، وهذا قائم رجل، بالقبح ، لرفع الصفة (قائم) ، وكان يكفي أن يصف هذا الواقع اللغوي فقط ، ثم قال إنه مخالف لقوانين الفصحى التركيبية من حيث الصفة على موصوفها .

كذلك نراه في موضع آخر مــن كتابــه يصــف بعــض الفونيمات العربية بالقبح فيقول :

" وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ، ولا تستحسن فــي قــراءة القرآن ولا في الشعر ، وهي :

الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التــي كالكــاف ، والجيم التي كالشين ، والاد الضعيفة ، والصاد التي كالســين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفــاء " (الكتاب ٤/٤٣٢).

فهو هنا يصف بعض الفونيمات العربية بـــالقبح ، وهـــي بالمقابل اللاتينية (p-z-t-s-d-j-g)

ثم يصفها في ضوء المعيار الفصيح ، وهو القرآن الكريم ، والشعر مع أنها موجودة كالواقع لغوي – سواء فـــي الفصـــحى القديمة أم في الحديثة المعاصرة – بل في بعض الكلمات العربية التي نتقلت إلى اللغات الأخرى كالإندونيسية مثلاً .

ثم أخذت الدراسة الوصفية تتسع ، وتأخذ مجالها وتتعـــدد اتجاهاتها ، حيث قامت عل آثار دي سوسير ثلاثة مدارس لغوية هي :

- مدرسة براغ prague
- مدرسة كوبنهاجن Copenhagen
- مدرسة أمريكا America

وقد عرف دي سوسير العلاقة بين مكونات الجملة دون التعرض إلى تحليلها ، أي إن داسته كانت عامة – كما يظهر من عنوان كتابه: courses de lingusitique genral سوى ماكان منه حين رأى أن الجملة لا يمكنها أن تمثـــل الوحـــدة اللغوية بأي حال من الأحوال وأن مجموع الجمل

التي يمكن نطقها ، لا يمكن أن تتشابه فيما بينها . (فصول في علم اللغة العام ١٨٧ ودروس في الألسنية العامة ١٦٥) .

وعليه فكلامه هذا يعني أن هناك وحدات لغوية أصغر من الجمل هي المركبات phrase ، والكلمات words ، وأن هناك وحدات أكبر منها هي الفقر وهو ما يوافق نظرة تشومسكي n. Chomsky كما رأينا آنفاً ، ويوافق تشومسكي كذلك رؤيته أن الجمل لا يمكن تشابهها أبداً ، وهو ما قال به تشومسكي في عملية التوليد ، ولا نهائية الجمل .

أما ما يميز دي سوسير عن تشومسكي فهو اهتمام الأول بالشكل فقط ، واهتمام الثاني بالمعنى والشكل معاً .

كما لا ينكر أحد فضل دي سوسير في تغيير وجهة علم اللغة أو بمعنى دقيق الدراسة اللغوية في أوربا كلها ، حيث جعل هدفه اللغة ذاتها ومن أجل ذاتها ، بعد أن كانت دراسة فيولولوجية نقدية ذات نظرات فردية ذاتية .

الأدوات في لهجة الواحدات الخارجة

تتعرض في هذا المبحث للأدوات articals فـــي بهجـــة الواحات الخارجة في ضوء المنهج الوصـــفي ، دون تقبـــيح أو تحسين لصيغة لهجية على أخرى فصحى ، بل دراسة وصـــفية فقط ، ترصد وتحلل وتستنتج ، وتجيب عن : كيـــف ؟ ولـــيس عن: لماذا ؟

نقصد بالأداة هنا ما سماه النحاة " والحروف " ، وجعلوا علامتها عدم قبولها علامات الاسم والفعل فتعريفها سلبي ، وذلك ما عرف في علم اللغة الحديث بأن ترك العلامة علامة في حد ذاته .

كذلك ينضوي تحت الأداة بعض الأسماء الجامدة كأسماء الاستفهام ، والشرط ، وبعض الأفعال الجامدة كالرجاء والاستثناء .

وقد عرفها د. تمام حسان " مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق " [٤٩] وعرفها أحد الباحثين بأنها " كلمة تؤدي وظيفة نحوية عامة " [٥٠] والتعريف الأول أوضح من الثاني .

وتشتمل اللهجة على كثير من الأدوات التي تؤدي معاني التعليق فيها ، كأدوات الاستفهام ، والشرط والتمني ، والتعجب ، والترجي ، والتدليل ، والعطف ،والتعريف ، والتنكير والتفسير ، والنسب ، والنفي، والنهي ، والاستقبال ، والمضارعة ، والتشبيه ، والربط ، والتعليل ، والتوكيد ، والجواب ، والنداء...الخ.

وسوف اتعرض لهذه الأدوات من حيث البنية والاستخدام : مع الاستعانة بالفصحى والساميات إن أمكن .

([٤٩])اللغة ومعناها ١٢٣.

([٥٠]) أقسام الكلام العربي ٢٦٢.

١- أدوات الاستفهام

وهي متنوعة في اللهجة : حسب طبيعة المسئول عنـــه ، فللمكـــان أداة، وللزمان أداة ، وللعاقل وغير العاقل ، والحال ، والعدد ، والســبب ، لكن منها أداة مختلفة ، وفيما يلي بيان ذلك :

أ- المكان : يُسأل عنه بأداة هي : فين fen

- رايح فين ؟ = أين تذهب ؟

ب- الزمان : يُسأل عنه بأداة هي : إمتا emta

جيت امتا من صيوط؟ - متى جئت من أسيوط ؟

جـــ- العاقل : يُسأل عنه بأداة هي : مين men

- مين الّي ميكلمك يا واد ؟= من الذي يكلمك يا ولد ؟

د- غير العاقل : يُسأل عنه بأداتين هما : إه eh، إش es

ايه اللي متقولو دا ؟ إش جابك ؟ = ماأتى بك

هـــ الحال :يُسأل عنه بأداة هي : إزاي ezzay

- إزاي تمشي علطول ؟= كيف تغادر بسرعة ؟

و- العدد : يُسأل عنه بالأداة : كام kam

- تعضيني كام في دول ؟ كم تعطبنب في هؤلاء ؟

- ز- السبب : يُسأل عنه بالأداة : ليه leh

- ومتضاش ليه ؟ = ولم لا ترضى

ملاحظات :

من العرض السابق يتضح ما يلي :

- لا يوجد في اللهجة أداتا الاستفهام (هل ، الهمزة) : اللتان هما لطلب الإخبار بالإثبات أو النفي [٥١] بل استعاضت عنهما اللهجة بنوع خاص في نغم الجملة المثبتة أو المنفية ، كما مر ذلك في معالجة الفونيمات فوق التركيبية [٥٢].

- أداتا الاستفهام (كام ، مين) هما أنفسهما الفصيحتان (كم،من) مع تطويل المقطع للنبر عليه ، والنزوع بـ (من) نحو الكسر ، فصارتا (كام ، مين) :

كم كام : ص ح ص ص ح ح ص

من مين : ص ح ص ص ح ح ص

- أداة الاستفهام عن المكان (فين) هي نفسها الفصحى (أين ayna) مع إمالتها للتخلص من الحركة المركبة diphthong ووجود الفاء العاطفة معها ، مع التخلص من الهمزة – التي كثيراً ما تسقط أوائل الكلمات ووسطها وآخرها .

أين anya فأين faayna فين = fen

وفي بعض اللهجات تُنطق فان " كما في مصر العليا "[٥٣]

([٥١]) انظر : كتاب : ٤/٢٢٠، حيث سمى ألف الاستفهام ٤/٢١٧ وشرح المفصل ٨/١٥٠: ١٥٤.

([٥٢])انظر : دراسة صوتية صوفية ١٤٨.

([٥٣]) المدخل إلى ١٩٦ وبحوث ومقالات ٦٤ وقد أخطأ د. موافي حين حكم بأن الفاء في " فين منقلبة عن همزة (أين) انظر : علم اللغة ٣٠٧.

- اداتا الاستفهام عن غير العاقل (إه، إش) منحوتتان من (أي شيء) ، مع بقاء الأداة الأولى (إه) على الهمزة فقط ، وضياع الياء ، ثم اجتلاب هاء السكت مع الإمالة ، وهكذا :

أي شيء أي أ إ إه

ayyesay ay a Eh

أما الأداة الثانية (إش) فقد بقيت منها الشين دالة على (شيء) المحذوفة .

- أداة الاستفهام عن السبب (ليه) هي اللام مع الأداة السابقة (إه) ، ثم خُففت الهمزة وطول المقطع ، وهكذا

إه + ل لإه له ليه:

leh leh le eh Eh+ le

وذلك لأن حذف الهمزة مرتبط دائماً بتطويل المقطع قبلها (٥٤)

- أداة السؤال عن الحال " إزاي " مأخوذة عن همزة الاستفهام مع كلم (زي) بمعنى هيئة ، فأصلها (أيزي) ثم صارت " إزاي"(٥٥)

أداة السؤال عن الزمان (إمتا) هي نفسها الفصحى

(٥٤) انظر : شرح المفصل ٩/١٧٠ والأصوات اللغوية ٩٠ وفصول في فقه العربية ٤٠٢ .

(٥٥) انظر : المحكم في أصول الكلمات العامية ١٠.

(متى) مع زيادة همزة مكسورة أول الكلمة ، وتسكين الميم هكذا:

إمتا إمتا : emta   e + mata

٢-أدوات العطف

عرف النحاة العرب للعطف أدوات عدة ، وقسموها أنواعاً ، فمنها ما هو لمجرد العطف والترتيب ، والتراخي ، والتعقيب ، والتخيير ... [٥٦].

وفي اللهجة لا توجد كل هذه الأدوات ، بل يوجد :

أ- مجرد العطف : أدواته هي :

الواو (و wa) ، حتا hatta، كمان Kaman

- الواو : في مثل : معاي محمود وعصمان وبت سمها سعديا .

والأصل فيها هو الفتح (و) ولكن في اللهجة لها حالتان :

- الفتح : وذلك إذا دخلت على متحرك بالفتح مثل :

وأخرت انهار تقوله يلا ، ولا ياخد حاجا معاه

- الكسر : إذا دخلت على متحرك بالكسر ، مثل :

---

(٥٦) انظر الكتاب : ٢١٦/٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، وشرح المفصل ٨٨/٨: ١٠٧ والمغني ٨٧: ٢١٣ والجنى الداني ٦١، ٦٦، ١٥٨، ١٦١، ٣٥: ٢٢٧ ، ٢٩٤:٢٩٥ ، ٤٢٦: ٤٣٢ ومعاني الحروف ٤٣،٥٩، ٧٧ ، ١٠٥ .

إلمر تنهش وتنصب وتخطف ، إنت جيب وهيا جيب

ب- " حتى " في مثل :

رحت فين لعمدا راح = ذهبت وذهب العمدة

جبت عنب حتى بلح - اشتريت عنباً وبلحاً

جه كمان نام للصبح = جاء ونام للصباح

وهي مقتطعة من كما أن - في رأيي - مع تخفيف الهمزة ، وتخفيف التشديد في نون (أن) على النحو التالي : كما أن كمان = kama anna kama an Kaman

وإن كان صاحب المحكم يرجعها إلى " همان " الفارسية ، بمعنى الشيء نفسه كذلك [٥٧] . ولكن صوت الهاء في الكلمة الفارسية (همان) لا يمكن له أن يقلب إلى صوت الكاف ، ولم يقل بذلك واحد من النحاة أو اللغويين القدامى أو المحدثين

٢- الترتيب مع التراخي : أداته هي " بعدين " ba den

فضلت فسكلحديد بعدين طلحت علمعاش

وهذه الأداة مركبة من جزئين هما (بعد . آن) أي بعد حين - وذلك حسب اجتهادي - ظاو بعد أنِ ، ثم خففت الهمزة الممدة وأميلت نحو الكسرة .

---

(٥٧) راجع : المحكم في أصول الكلمات ١٩٠ .

بعد أن > بعد أن > بعدين : ba den   < badan <   ba da an

على حين يرى صاحب المحكم أن أصـــلها " و" بعـــداً – كمـــا تقـــول قبلاً(٥٨).

٣- الترتيب مع التعقيب : وأداته هي " ف" fa

وهي دائماً مفتوحة (فَ) كالفصحى لأنها لو كسرت لالتبست بـــ " في " التي هي أداة الزمانية أو المكانية .

قفد فطل لفوق = قعد فنظر فوقه

٤- التخيير : وأداته هي " أو " aw

أروح لحد جامع أو اصلي فلبيت = أذهب إلى المسجد أو أصلي في البيت .

٣- أدوات التعليل

في اللهجة أداة واحدة للتعليل هـــي " عشـــان" = asan وهـــي مأخوذة عن طريق البلى اللفظي من " علـــى شـــأن " أي لأجـــل ، أو بسبب.

والدليل على ذلك وجودها في نفس اللهجة ، في بعض المنـــاطق بشكل آخر هو " علشان = alas an " بوجود اللام كما توجد بشـــكليها هذين في العامية المصرية بعامة ، وتضاف الأداة " عشان " ، فيقـــال مثلاً :

---

(٥٨) راجع : المحكم في أصول ٢٦ .

" عشانك" عشانه ،عشانكو ،عشانا ... الخ " مثل :

رمحت عشان لقاه= ذهبت لكي ألقاه ، عشانك هروح = لأجلك سأذهب

٤- أدوات استمرار الحدث في الحال

وهي أدوات تلحق بالفعل المضارع قبل مورفيمات المضارعة " أ- ن- ي- ت" ، وتدل على أن الحدث ما زال مستمراً وقت التكلم ، وتوجد أداة واحدة هي الميم (مme) وهي مكسورة دائماً للماثلة بينها وبين مورفيمات المضارعة التي هي مكسورة كسرة ممالة دائماً ، إلا مورفيم الهمزة ( ) حيث تفتح الأداة معه فتحة قصيرة (a) ، وتحذف الهمزة ، فيقال مثلاً :

-هو مياكل دروك = إنه يأكل الآن .

- إحنا منشرب ميت لبيار = نحن نشرب مياه الآبار .

- أنا مَشرب شاي = أنا أشرب شاياً الآن

- أنا مَاكل = أن آكل الآن

وفي اللهجات المصرية العامية أدوات للدلالة على استمرارية الحدث مثل " عما ، بـ عمال " والميم في لهجتنا هذه بقية الأداة عما amma التي يرجعها أحد الباحثين إلى صيغة " عمال ammal " والتي هي صيغة مبالغة من عمل [٥٩]

(٥٩) الفلسفة اللغوية ٦٠.

٥- أدوات التحضيض

وهي ما يفيد الحض على الشيء والحث عليه [٦٠]

ولكنها تختلف عما ثرره النحاة ، إذ إنها لـــو كانـــت مفـــردة أو مركبة مع غيرها فالمعنى لا يتغير ، وذلك عكس ما قررهالنحاة حيث " تدل مفرداتها على معنى وبالضم والتركيب تدل على معنى آخر لم يكن لها قبل التركيب ، وهو التحضيض ... فلولا التي للتحضيض مركبـــة من " لو ولا " فلو ، معناها امتناع الشيء لامتناع غيره ، ومعنى "لا " النفي، والتحضيض ليس واحداً منهما " [٦١]

وأدوات التحضيض في اللهجة هي :

أ- (دُغري= dogri) وهي كلمة فارسية أصلها " طغرو " بمعنى مستقيم أو على استقامة [٦٢]

امشي دغري = سر بسرعة

ب- (هيلا : hwla)

مثل : هيلا نمشي = هيا نغادر

ج- (يلا : yalla)

---

(٦٠) انظر : شرح المفصل ١٤٤/٨ .

(٦١) المرجع نفسه ١٤٤/٨ .

(٦٢) انظر : المحكم في أصول ٨٥ .

ربما كانت مأخوذة من ياء النداء ولفظ الجلالة (يا الله) . طلباً للعون منه ثم حذفت الهمزة ،وبقيت الــلام المفخمــة دليلاً على لفظ الجلالة .

يلا روح = اذهب ، يلا يا واد = هيا يا ولد

٦- أدوات التوكيد

يأتي التوكيد في الكلام " ليكون المعنى في نفــس المخاطــب وإزالة الغلط في التأويل "[٦٣] وينقسم في الفصحى إلى لفظي ومعني ، أو صريح وغير صريح ، وفي اللهجة يكون التوكيد اللفظي عادة بالضغط على الكلمة المراد توكيدها ، أو تنغيمها بصورة تختلــف عما هي عليه في الكلام العادي

أما التوكيد المعنوي فله أدوات هي :

أ- طبعن taban أي طبعاً "

زرتو طبعن ولقيتو عيان = زرته فوجدته مريضاً

ب- " فعلن [٦٤] : felan أي فعلاً "

جه فعلن هنا وشاف لبير = إنه جاء ورأى الئر

---

(٦٣) شرح المفصل ٤٠/٣ .

(٦٤) يلاحظ هنا استخدام التوكيد بلفظ الفعل لا الاسم ولعل ذلك يوافق رأي البصــريين فــي آن الفعل هو أصل المشتقات جميعاً ، راجع الانصاف ٢٣٥/١ ، والاشتقاق ٥ :١٤.

جـ – نفس :nafs

وتختلف عما قبلها في أنها تضاف إلى الاسم والضمير.

مثلاً:

في نفس سنادي حصل ، هوا نفسو قال كه ، هما نفسهم دول.

وهنا يلاحظ أن اللهجة قد حافظت على أداة التوكيد الفصحى (نفس) ولكنها لم تصرفها في الجمع فتقول (أنفسهم ، أنفسهن ، أنفسهما) بل أضافتها إلى الضمير كما هي مفردة ، والمتغير هو الضمير المضاف إليه وحده .

د- كل koll

وهي لا تأتي مفردة بهذه الصورة ، بل تضاف دائماً لما بعدها: سواء كان اسماً أم ضميراً : دالة على توكيد العموم ، واستغراق جنس ما بعدها في المعنى المراد في الجملة (٦٥)

ومن أمثلة ذلك :

كل شيء كان لها = كل شيء لها ، كلهم مشيو = كلهم مشوا

وإن جاءت مفردة تعرف بأل ، مخالفة بذلك الفصحى ، التي لا يجوز فيها تعريفها بأل (٦٦)، وبذلك جاء التنزيل الكريم في

---

(٦٥) انظر : مغني اللبيب :٢٥٥ .

(٦٦) وكل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالألف واللام " اللسان (كلل) ١٤/١١٠.

مثل قوله عز اسمه : " كلٌّ إلينا راجعون "[٦٧]

" إن كل لما جميع لدينا محضرون "[٦٨]

بل تعرفها في مثل قولهم (معرفة بأل)

إلكل هنا يجب بعضيه = كل يحب بعضه

٧- أدوات التدليل

طبيعي أن التدليل لا يكون إلا لطفل صغير ، أو بين اثنين بينهما من العلاقة ما بينهما ، ولا توجد في لغتنا العربية الفصحى أدوات للتدليل : بمعنى أن النحاة العرب لم يذكروها في كتبهم ، ولكن اللغة لا تعدم وسيلة للتعبير عن أي غرض من أغراضها فقد يدل التصغير على التدليل [٦٩]، كما في القول المأثور : " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء "

وللتدليل في اللهجة ثلاث أدوات هي :

أ- هشك : hessek

ب- هش hess

ج- هيه: heh

([٦٧]) سورة الأنبياء ٩٣/٢١ .

([٦٨]) سورة يس ٣٦-٣٢.

([٦٩]) انظر : الاشتقاق ٢٢٢ والإنصاف ١٣٨/١، ١٢٩ مسألة ١٥.

والملاحظة أنها كلها تشترك في صوت الإمالة (e) القصير أو الطويل مع فونيم الهاء ، كما أن هذه الأدوات تأتي مفردة، دون تركيبها في جملة معينة في تراكيب لغوية، بل يفصل بينها وبين ما معها من كلام فترة صمت أوضحك ، وقد تتكرر هذه الأدوات مرة أو مرتين ، ولا ترد مفردة إلا قليلاً .

٧- أدوات الجواب

وهي التي تعقب الاستفهام بما يعادل (هــل والهمــزة) أي لطلب الإخبار بالنفي أو الإثبات ، فأما الأدوات التي يُجاب بها للنفــي فمكانها أدوات النفي ، أما أدوات أيجاب فهي في اللهجة ثلاث: كلهــا بمعنى " نعم" .

أ- " آ" (a)

جبت لبلح من لمطر: آجبتو= هل أحضرت البلح مــن الإنـــاء : نعم.

ب- " أيوا away

هوا مشي ؟ أيوا= هل غادر ؟ نعم

وهي مأخوذة من أي والله فاستعيض عن لفــظ الجلالـــة بهـــاء السكت[٧٠] واللهجة دائماً لا تظهر الهاء أوخر الكلمات .

---

(٧٠) المحكم ٢٠وانظر : التطور اللغوي ٩٧ .

ج- طب : tab

وهي لتصديق المتكلم فيما يقول ولو كان بغير استفهام عن المحاورة مثل :

طلحت من هنا علمصر ... طب وبعدين

٩-أدوات النفي

النفي " يكون على حسب الإيجاب ، لأنه إكذاب له "[٧١].

وقد عد القدماء حروف النفي ستة هي (ما ، لا ، لما ، لن ، إن) وفصلوها إلى نفي الاسم والفعل والجملة ، واراحوا يبحثون في المختص وغير المختص ... إلخ [٧٢] .

وفي اللهجة كذلك ، يوجد المختص وغير المختص من أدوات النفي ، وما في لنفي الاسم ، والفعل والجملة ، ويتضح ذلك فيما يلي :

أ- الأدوات المختصة :

وهي تنفي كاملة ، إلا " مش " حيث تدخل على الفعل ، وهي خالص : hales ، al مش mes

---

(٧١) شرح المفصل ١٠٧/٨ .

(٧٢) انظر : المرجع نفسه ١٠٧/٨،١١٢: والجنى الداني ٢٧٠: ٢٧٢، ٢٩٠، ٣٢٢،٣٠٠، ٣٣٦، ٥٩٢،٥٩٦ ومعاني الحروف ١: ٨٦، ٨٨ ، ١٠٠، ١٠١.

- رحش مصر خالص = لم يذهب إلى القاهرة قط
- إراجل معاه ؟ لا ، مش هروح = لن أذهب

وأحياناً تهمز لا " فتصير " لا la، بمعنى " خالص " لنفي القاطع في الزمن الماضي .

ب- غير المختصة :

١- بلاش ballas وأصلها : من الباء اللاحقة ، ولا النافية ، وكلمة شيء ، حذفت لتطرفها ، وسكنت الشين وفتحت الياء للمماثلة مع فتحة اللام الطويلة (ب + لا+ شيء— بلاشي) وتدخل على الاسم والفعل .

فتدخل على الاسم مثل : قلنا بلاش حد بيجي = قلنا لن يأتي أحد .

- وتدخل على الفعل مثل : بلاش تروح بكرا= لا تذهب غداً

٢- " ما ...ش : ma ...s والشين متقطعة من شيء وتدخل على:

الفعل مثل : ما كلش حاجا = لم يأكل شيئاً

الاسم مثلا : ما حدش هنا = لا يوجد هنا أحد

٣- لا .. ولا : la .. wala " وتدخل على

الاسم مثل : لا محمد ولا حسين هنا

الفعل مثل : مسكين لا كل ولا شرب = إنه مسكين لا أكل ولا شرب .

٤- مفيش : mafis

وهي مركبة من " ما " في شيء أي ليس شيء هنا ، ثم حدث ما حدث فوصلت لوضعها الحالي ، مثل " بلاش " وتدخل على :

الاسم مثل : مفيش حاجا زعل = لا يوجد شيء يحزن

الجملة : مثل : مين هنا ؟ مفيش حد = لا يوجد أحد

نخلص مما سبق إلى أن أدوات النفي في اللهجة سبعة هي :

(خالص ، لا ، مش ، بلاش، ما ، ش ،لا ولا ، مفيش)

وامحت من اللهجة الأدوات الفصحى التالية (لم ، إن ، لن ، ليس ، لات)

تحولت معنى (لما) بتشديد الميم إلى الشرطية

لعبت كلمة (شيء) دورها في النفي في اللهجة : حيث اقترنت بالأدوات (ما ، لا) ، ولعب البلي اللفظي دروه فيها (٧٣)

١٠-أدوات التعجب

للتعجب في لهجة أداة واحدة هب : إيه eh وبقصير الحركة الممالة (e) تدل الكلمة على استفهام (eh اه) مثل

---

(٧٣) انظر في موضوع اليلي اللفظى : دلالة الألفاظ ١٣٨، ١٣٩ والتطور اللغوي – مظاهره وعلله ٩٥: ١٠٢..

حط يدو فطاقا لقاها = وضع يده في الكوه فوجدها

فيقول له آخر : ايه متعجباً من ذلك

وقد عد نحاة العربية (إيه) اسم فعل أمر بمعنى زدني ، وجعلوه مقابلا لـــ : (صه ومه) [٧٤] وللتعجب في اللهجة صيغة أخرى سياقية عن طريق التغيم الذي يصاحب كلمة معينة في السياق .

١١- أدوات التمني

اجمع نحاة العربية على أن التمني له حروف واحد في (ليت) ، وعدوه ناصباً للمبتدأ رافعاً للخبر ، من أخوات " إن "[٧٥]

واللهجة تمتلك أداة واحدة للتمني هي " يريت yaret" وتضـــاف للضمائر والأسماء ، مثل : " يريتو ، يرتك ، يريت محمـــد ، يريـــت صباح " ، ويرى أستاذنا د. رمضان أن "يريت" هي اصل "ليت " يقول – في معرض حديثة عن نظرية الركام اللغوي " ليت أصلها "رأيـــت " بدليل بقاء هذا الأصل بعد تخفيف الهمز ، في اللهجـــات العاميـــة ، إذا يقال في مصر مثلاً

---

(٧٤) شرح المفصل ٤/٣٠-٣٢.

(٧٥) انظر : شرح المفصل ١/١٠١/١٠٥ والجني ٤٩١ وأوضح المسالك ٥٦ ومعاني الحروف ١١٣ ومغني اللبيب ٣٧٥ .

(يا ريتني غني) ، وقد قلبت راؤها لا مّا منذ زمن بعيد في الفصحي ..." [76]

- يريت انيل هنا = ليت النيل ينتقل هنا
- يريتك تيجي شويا = ليتك تأتي قليلاً

١٢- أدوات التنكير

التنكير هو الإبهام والشيوع ، " وله في العربية الشمالية والجنوبية أداة معينة تلك هم الميم (   ) في الجنوبية .. وقد تحولت هذه التمييم وفي الشمالية التنوين "[77]

" ولا توجد هذه الأداة الدالة على التنكير في الحبشية والعبرية إلا متجمدة في بعض الظروف – فمثلاً في اللغة الحبشية

temalem أمس ، وفي العبرية yomam (نهاراً / كل يوم) ، ولا تزال كذلك في الآرامية ، مثل imama (نهاراً)[78]

ويرى ابن جني أن " التنوين علم للتنكير ، والإضافة

(٧٦) بحوث ومقالات ٧٤، ٧٥ .

(٧٧) المدخل إلى علم اللغة ٢٤٦.

(٧٨) المرجع نفسه ٢٤٧ .

موضوعه للتعريف [79]

ولما كانت اللهجة المدروسة قد امحت منها علامات الإعــراب ، فلا وجود للتنوين الذي هو علامة التنكير فيها ، لذا فقد اتجهت اللهجة إلى وجود أدوات تدل بها على التنكير والتعميم ، ولها في ذلك أداتــان هما " أي ayy، كزا kaza"

عايز أي حاجا ، ومعايا كزا جنيه ، فيه كزا مهاج

وقد عد نحاة العرب " كذا " في الفصحى من الكنايات [80] وهــي التي أخذت منها الأداة تلك ، كما أن الأداة " أي" لها في الفصحى معان عدة : استفهامية ، وبالتخفيف تفيد النداء ، والعطف ، والتفسير [81]

١٣-أدوات الربط

ترتبط كلمات اللهجة معاً عن طريق المتصل بينها من خلال العلاقات السياقية بين الكلمات ، التــي تخضــع لقــوانين اللغــة التركيبية، شأنها في ذلك شأن الفصحى وبقيية اللغات ، فمثلاً يرتبط المبتدأ بالخبر عن طريق إسناد صفة من

---

[79] الخصائص ٣/٦٥ وانظر : المنصف ١/٦٩ ومعاني الحروف ٧٠ والمدخل إلى علم اللغــة ٢٤٧ والإنصاف ٢/٤٩٢ مسألة ٧٠ .

[80] انظر: شرح المفصل ٤/١٢٥ والمغني ٢٤٧، ٢٤٨.

[81] انظر : الجنى الداني ٢٣٣، ٢٣٤.

المسند للمسند إليه ، والمعطوف عليه يرتبط بما قبله عن طريق حرف العطف (أداته) ، والجزء يرتبط بالشرط عن طريق السياق ... إلخ .

وأدوات ربط الجملة في اللهجة هي :

تتو tannu ، برضو bardu

- لما يكمل خمسا وعشرين سنا تتو يجوز علطول = عندما يكمل ٢٥ عاماً يتزوج ، وتضاف " تتو" للضمائر فيقال :

" تتك ، تتهم، تتها ، تتكو ... إلخ.

لما تيجي تتها قاعدة = عندما تأتي تجلس مباشرة ويرد د. أحمد عيسى " تتو " إلى " التو : الفرد ، وجاء تواً أي فرداً ... "[٨٢]

والأداة الثانية " برضو " أصلها " بردر " التركية بمعنى هو كذا ، أو "بردخي" بمعنى أيضاً ، أو من الفارسية " برادخت" أو من "برداختين " ، بمعنى كمل ، وافق هيأ ، أتم ، عندما لا يستقر صاحب المحكم على رأي له في هذه الأداة يقول : " ويكون المعنى إني أوافق ، أكمل أو أميل إلى كذا أو أنحاز إلى كذا "[٨٣]

---

(٨٢) المحكم ٥١.

(٨٣)المرجع نفسه ٢٨.

أنا برضو جيت هنا ، محمد جه وبرضو تكلم

١٤- أدوات النداء

وهي في اللهجة أداة واحدة هي " يا ya"

أما بقية الأدوات الموجودة في الفصحى ، وهي (أيا ، هيا ، أي، الهمزة) [٨٤] ، فلا تستخدم في اللهجة البتة .

وتستخدم " يا" لكل أنواع المنادى : ما بــه " أل " والمضــاف ، والنكرة ، والعلم ، والنكرة المقصودة " أي إن استخداماتها قد تعــددت عما ذكره النحاة من أن " يا" لا تجامع ما فيه الآلف واللأم ، وإذا أريد ذلك تُوصل إليه بأي وهذا "[٨٥]

ومن أمثلة استخدامها :

يا ولد ، يا محمد ، يا الله، يا رسول الله

وقد ينادى المنادي دون أداة ، وذلك مثل

محمد ، سعيد ، نصر

ويعرف النداء عن طريق التنغيم intonation من السياق .

---

(٨٤) شرح المفصل ١/١٢٧: ١٣١ والجنى الداني ٣٠، ٢٣، ٤١٩، ٥٠٧ ومعاني الحروف ٣٢، ٩٢، ٩٣، ١١٧، ٨٠.

(٨٥) شرح المفصل ٢/٨ .

وذلك موجود في الفصحى أيضاً مثل قوله تعالى :

" يوسف أعرض عن هذا "[٨٦] ، " رب أرني أنظر إليك" [٨٧]

١٥- أدوات التشبيه

توجد أداتان للتشبيه هما :زي zayy كه keh

يقال في الأولى :

زي بعضو متعملش زي ضيف = لا تكن غريباً كالضيف وهذه الكلمة (زي) بمعنى هيئة ، ومنها اشتقت كلمة " إزيك " أي : باي زي تفعل كذا .. [٨٨] ثم تغيرت دلالتها في كل عاميات مصر معنى التحية والسلام .

أما كلمة (كه) فهي عبارة عن كاف التشبيه مع هاء السكت ومن أمثلة استخداماتها :

برضوا كه ،كه ابنك يعيا = هكذا يمرض ابنك

ومعروف أن كاف التشبيه فصحى [٨٩] ورد استخدامها عن

---

(٨٦) سورة يوسف ٢٩/١٢.

(٨٧) سورة الأعراف ١٤٣/٧ وانظر : شرح المفصل ١٥/٢ :١٧ والإنصاف ٧٢٠/٢ مسألة ١٠٣.

(٨٨) المحكم في أصول ١٠.

(٨٩) الكتاب ٢١٧/٤ ومعاني الحروف ٤٨ – وإن لم يصرح الروماني بالتشبيه فيها .

العرب ، وفي القرآن الكريم :

" مثل نوره كمشكاة فيها مصباح "[٩٠]

١٦- أدوات الشرط

الشرط هو ترتيب شيء ما على فعل شيء سابق عليه سلباً أو إيجاباً ، وفي اللهجة توجد أدوات الشرط التالية :

أ- إن en

إن خبط عليها يبازي سايل - إن طوق عليها الباب يكون كالسائل .

ب- مدام : madam

مدام قضايا مصلحا ملهاش حاجا تاني = ما دامت قاضية شؤنها فليس لها شيء عندها

ج- لما lamma

لما تروح تشوف كل حاجا = عندما تذهب سوف ترى كل شيء

د- مهما : mahma

مهما لواحد يعمل لازم يموت = مهما يعش الإنسان فسوف يموت .

ه- لو law

لوجه نيل هنا تبا معجزا = لو جاء النيل هنا لصارت معجزة

و- لولا lawla: لولا فضل ربنا = لولا فضل ربنا

---

(٩٠) سورة النور ٣٥/٢٤ .

ز- إزا: eza

إزا كانت أصيلا تفضل كدا = إذا كانت ذات أصل تبقى هكذا .

يُلاحظ مما سبق افتقاد اللهجة لأدوات فصحى هي : (إذما – حيثما – أين – أيان – أينما – ما – متى – كيف)

ولعل ذلك راجع إلى نزوع اللهجة نحو التيسير والسهولة ، كما يوجد ذلك المنزع أيضاً في التأنيث .

كما أن هناك بعض الأدوات التي نُقلت من معناها الأصلي ، وتحولت إلى الشرطية ، ومن ذلك الأداة " مدام " وأصلها (ما دام) فعل ناسخ من أخوات " كان" ، وكذلك الأداة " لما " التي أصلها لنفي المضارع [٩١]

كما أنه لا يوجد جواب الشرط للأداة " لولا " في أغلب حالاتها ، بل تذكر جملة شرطها فقط ، ويفهم الباقي من السياق والتنغيم وذلك موجود في الفصحى كذلك ، ففي القرآن الكريم قوله عز وجل اسمه : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم "[٩٢]

([٩١]) مغني اللبيب ٢٦٧ ويراها سيبويه " للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره " إنما تجئ بمنزلة لو .. " راجع الكتاب ٢٣٤/٤ ويراها الرماني لـ " أن يقع بعدها الشيء لوقوع غيره " وذلك شبه ما حدث هنا ، انظر معني الحروف ١٣٢، ١٣٣ .

([٩٢]) سورة النور ١٠/٢٤.

١٧- أدوات التفسير

للتفسير في اللهجة أدوات : لتبيين الغامض من المعاني أو الألفاظ المرادة ، وهذه الأدوات التي يستعان بها في ذلك هي :

أ- يعني : ya ni

وهي فعل مضارع متصرف في الفصحى (عنى ، يعني، عنيا) أي قصد وأراد[٩٣] ولكنه تجمد عند تلك الصيغة (يعني) دون تصرف مع الضمائر .

الحيطان تسير يعني تقع ، ونحط لهدار فلميا يعني نقيس.

ب- مسلن masalan

وهي كلمة (مثلاً) مع تحويل فونيم الثاء إلى سين ، كما هي طبيعة اللهجة في الاتجاه نحو الرخاوة ، مع كتابة التنوين صوتياً ن an

ونكحت لبير مسلن = ونحمر البئر مثلاً
وغالباً ما تأتي " يعني ، مسلن " مترادفتين ، مثل
يعني مسلن انت هنا = ها انت مثلاً هنا

---

(٩٣) لسان العرب (عنى) ٢٣٥/١٩.

ج- كدا keda

ولعلها الكلمة الفصحى " كذا " [٩٤] المكونة من الكاف المشبهة ، و" ذا " ضمير الإشارة للمفرد المذكر ، وعلى عادة اللهجة تحول الذال دالاً أو زاياً .

وجه كدا علطول = وجاء هكذا بسرعة

١٨- أدوات التفصيل

وهي أداة واحدة تأتي لشرح القول وتفصيله ، وهي أما amma وقد اعتبرها النحويون العرب شرطية ، معناها " مهما يكن من شيء "[٩٥] أو جزءان " إن وما "[٩٦]

وتوافق اللهجة الفصحى في ربط الكلام الذي توجد فيه الأداة بالفاء ، مثل :

أما ليام دي فخراب بيوت = أما هذه الأيام فهي خراب بيوت

وقد تأتي غير مصحوبة بالفاء مثلاً :

---

(٩٤) انظر كلام العرب ٨٠.

(٩٥) الكتاب ٤/٢٣٥ وقال الرماني بحرفيتها دالة على التفصيل : انظر : معاني الحروف ١٢٩.

(٩٦) الجنى ٥٢٢.

أما لعمدا هو اللي يعرف = أما العمدة فهو الذي يعرف

١٩- أدوات الاستدراك

وهي واحدة هي " إنما ennama " وليس لهذه الأداة أصل بهذا المعنى في الفصحى : بل أصلها عندئذ هو التوكيد ، وتتركب من " أن + ما"[٩٧] مثل قوله عز اسمه : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد "[٩٨]

ومن أمثلة ورود هذه الأداة في اللهجة :

زمان كان رخص أنما دروك غلب = الايام الماضية كانت رخيصة لكن الآن غلاء

٢٠- أدوات الاعتذار

للاعتذار في اللهجة أداتان هما : لمؤاخزا lamu ahza معلش ma aless

أ) لمؤاخزا :

وهي مركبة من لا النافية ومصدر الفعل " أخذ ، يؤخذ ،

---

(٩٧) الجني الدائي ٢١٦.

(٩٨) سورة فصلت ٦/٤١.

مؤاخذة عم ضياع تاء التأنيث المقطع الأخير مفتوحاً (ص ح) ، وترد بصفة كثيرة في أساليبهم وأحاديثهم اليومية ، وإن لم يحدث ما يوجب الاعتذار مثلا:

رحت لا مؤاخزا لحد حلفايا= ذهبت لامؤاخذة إلى حلفايا

وقد استخدمت الفصحي الفعل من هذه الأداة ، كما في قوله تعالى :

" قال لا تؤاخذني بما نسيت " [٩٩]

ب) معلش :

وهي مقتطعة من " ما عليه شيء " = أي لا سبيل لوجود شيء يُعاب به ، وهي واضحة في اللهجة القاهرية إذ نسمعهم يقولون ma alahs بثبوت الهاء ، وغالباً تُستعمل في اللهجة مفرردة ، مثل :

تعال يا عم نمشي ... معلش انهاردا

انت زعلان ، طب معلش

٢١- أدوات القسم

ببقسم في اللهجة أداة واحدة هي الواو wa المفتوحة غالباً

(٩٩) سورة الكهف ٧٣/١٨.

مع كسر لفظ الجلالة بعدها فقط : دون سواه ، ويقل أسلوب القسم كثيراً بين الناس ، ومن أمثلة وروده

ونبي تقوله = والنبي لتقولن له

وللاه تروح معاه = والله لتذهبن معه

ويتراوح المقسم به بين لفظ الجلالة الموصوف بالعظمة (والله العظيم)، أو دون وصف (والله) ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (والنبي ، ورسول الله) ، وتحرك بحركة كسر ممالة مع غير لفظ الجلالة .

وقد ضاعت معظم أدوات القسم في الفصحى ، وهي :

(الباء ، التاء ، اللام ، الميم)[١٠٠]

ولم يبق من هذه الأدوات إلا الواو فقط ، ولعل مرد ذلك إلى سير اللهجة في طريق السهولة والتيسير ، واقتصارها على أقل الأدوات ، والعلامات ، في سبيل تأديه المعنى .

---

(١٠٠) انظر : الكتاب : ٢١٧/٤، ٢٢٢ وشرح المفصل ٩٨/٩ ومعاني الحروف ٣٦، ٤١.

الفصل الثالث

اللسانيات التاريخية

historiecal linguistics

يهتم هذا الفرع بدراسة اللغة دراسة طولية ، عبر المراحل المختلفة والأزمان التي مرت بها ، لمعرفة مدى التغيرات والتطورات التي أعترتها عبر تلك الفترات التاريخية .

أي أنه لا يقف عند زمن معين في وصف الظاهرة اللغوية ، بل يسير مع الظاهرة اللغوية منذ أول تاريخها الذي عرفناها فيه ، حتى الزمن الذي يختاره الباحث محطة لوقوفه عندها وذلك على المستويات الأربعة أيضاً ، الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

وهذا السير التاريخي يرينا مراحل التطور التي تسلكها الظاهرة اللغوية ، حتى تصل إلى الاستعمال المدروس .

وذلك يعود بنا إلى دراسة الظاهرة في بدء نشوئها ، وهذا يبعد بنا في أعماق التاريخ اللغوي .

فإذا بحثنا عن كلمة مثل (إمبارح embareh) المستخدمة في لهجة مصر بمعنى الأمس ، فإنه لفهمها فهماً لغوياً صحيحاً ، علينا أن نعود بها إلى أقدم عهودها .

في الجاهلية نجد أن الكلمة نطقت (البارحة)

ثم قبيلة حمير ، وأبدلت اللام في مورفيم التعريف ميما ، وجاء ذلك في بعض الكلمات مثا (أمير) بمعنى (البر) [١٠١]

نطقت في فترة معينة هكذا (امبارحة)

ضاعت منها تاء التأنيث في آخرها ، للوقوف عليها ، وصارت هكذا (امبارح) بالفتح ، ثم بالوقف على المفتوح يسكن فتصير :

(امبارحً)

---

(١٠١) وتعرف هذه الظاهرة بطمطمانية حمير.

وعلى ذلك فإن دراسة تطور الأصوات ، صوامتها ، في اللغـــة العربية ، منذ الجاهلية حتى الآن دراسة تاريخية .

ودراسة تطور الصيغ الصرفية في اللغة العربية ، تعــد دراســـة تاريخية ودراسة تطور تركيب الجملة في اللغة العربية ، تعد دراســـة تاريخية أيضاً ، كما أن دراسة تطور الدلالة وتغيرها من عصر لعصر آخر ، تعد دراسة تاريخية ، وهو ما لم ينتبه إليه اللغويون العرب .

ويرى أحد الباحثين أن هذا الفرع يتناول تطور اللغة وحياتها في المجتمع ، فقضية انتشار لغة من اللغات ، والظـــروف التـــي مهدت لذلك، وأثر ذلك في بنية اللغة تعد من موضوعات علم اللغة لتاريخي ، وارتباط اللغة بوظيفتها – أو بوظائفها المختلفة – فـــي الجماعة اللغوية يؤثر بالضرورة في حياة اللغة ، فهناك فرق كبير بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة ، أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى ، أو أن

تكون لغة حضارة دولية ، ودراسة مستويات الاستخدام اللغــوي المختلفة في حياة كل لغة ، وأثر ذلك في بنيتها ، وأهميتها الحضـــارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي [١٠٢].

---

(١٠٢) علم اللغة العربية ٤٠.

الفتوحات الإسلامية
وانتشار اللغة العربية

كانت اللغة العربية – قبل الإسلام – لغة قليلة من حيث عدد متكلميها ، وأولئك الذين كانوا قبائل متفرقة في بطون الأودية وحول آبار المياه والكلأ ، أو منتقلة بين الشام صيفا واليمن شتاء طلبا للرزق عن طريق التجارة .

وذلك على الرغم من كثرة ألفاظها ، يدل على ذلك ما نجده فيها من ترادف واشتراك لفظي وتضاد ، وما سوف ندرسه بعد حين – إن شاء الله تعالى .

ولما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – نزل بتلك اللغة (وهذا لسان عربي مبين) [١٠٣].

---

(١٠٣) من سورة النمل ١٠٣/١٦.

وكان نزوله بها استمرارا لهذه اللغة وحفظا لها من الضياع ، ومزيداً من الانتشار على ألسنة العرب وغيرهم .

وفي ذلك يقول يوهان فك :

" لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ، ففي ذلك العهد – قبل أكثر من ١٣٠٠ عام عندما رتل محمد – صلى الله عليه وسلم – القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد كانت دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة [١٠٤].

تمثلت هذه النتائج في اتساع رقعة الناطقين بالعربية ، ومن ثم فإن هؤلاء الناطقين كان معظمهم من غير العرب ، أي من الفرس والروم ، فلما تكلموا العربية لم يحسنوها ، وبخاصة عند نطق بعض الأصوات العربية

---

(١٠٤) العربية ١٣ .

المشكلة وهي : القاف والجيم والضاد والظاء والذال والحاء والخاء والغين ، وكذا خلطهم في الإعراب وعلامته ، فهم لا يستطيعون نطق الجملة بإعرابها بدقة وقد كان ذلك أيام الفتوح الإسلامية في العهد الأموي والعصر العباسي – الأول ورأى العرب – أو قل النابهين منهم – أن غيرهم لا يحسن آية من كتاب الله إلا قليلاً ، لذلك حافظوا على القرآن العظيم من اللحن والتغيير والتبديل في كلماته، وتبعاً لذلك تختلف المعاني .

تجلى هذا الخوف على كتاب الله تعالى– عند سماع الأخطاء التالية مثلاً :

١- أن الله برئ من المشركين ورسوله(١٠٥) (بالكسر)

٢- مات أبانا وترك بنون

٣- ما أجمل السماء (لمن أراد التعجب)

---

(١٠٥) من سورة التوبة ٣/٩.

وأجمعت كتب التراث على أن أول من فكر في ذلك هو أبو الأسود الولي (ت٦٩هـ) ، والذي يقال إنه وضع أسس هذا العلم (النحو) ، إما بدافع من نفسه أو بأمر من الوالي الأموي زياد بن أبيه ، أو بإرشاد من الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه ؛ لحفظ لغة القرآن من الفساد على ألسنة الداخلين حديثاً في الإسلام .

ولكن اتخاذ هذا العمل هذه الصورة الرسمية والعلمية الكبرى جعل هؤلاء اللغويين يرون أن القرآن الكريم والشعر القديم وبعض أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هي صورة المثلى لما لابد أن تكون عليه العربية الفصحى ، فهي الأسلوب الأكثر بلاغة وفصاحة ، وما سواه يجب أن يكون دونه ، لذلك اقتصرت حركة جمعهم اللغة من الاعراب والبوادي عند حد معين ؛ هو نهاية القرن الثاني الهجري في المدن والحواضر ، ونهاية القرن الرابع الهجري في البوادي والاعراب.

وبذلك ضاعت من العربية آلاف التعبيرات والتراكيب والصور اللغوية، نحوا وصرفا وصوتا ودلالة إلا ما جاء مصادفة من غير اللغوين [١٠٦].

كما نجد ذلك عند الجاحظ في كتبه ، وبخاصة البيان والتبين ؛ حيث تكلم عن عيوب النطق كاللثغة والحبسة والفافاه .

ومع ذلك فإن كلامه كان بقصد اجتماعي هو وصف مجتمع عاش فيه من عدة نواح اجتماعية ، وليس رصد اللغة في استعمالها أو التاريخ لها .

كما نجد أيضاً في كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي بعض الكلمات الفصحى وكيفية نطق العامة لها .

---

(١٠٦) انظر في ذلك العرض ... طبقاتفحول الشعراء ، وإرشاد الأريب ٤/٢٨٠ ونزهة الألباء ٣-١٣ وعيون الأخبار ١٤٨/٢ والعربية ٢١ والمثل السائر ٧ .

ولذا نجد عنده بعض الأبواب التي عنونها بـــ :

- (ما جاء مكسوراً والعامة تفتحه)[107]
- (ما جاء مسكنا والعامة تحركه)[108]
- (مالا يهمز والعوام تهمزه)[109]
- (ما يشدد والعوام تخففه)[110]

ثم تفاعلت العربية – مع مرور الزمن – مـــع غيرهـــا مـــن اللغات كالفارسية ، وجاء جيل من اللغوين استطاع أن يميـــز هـــذا التفاعل ويدرسه ، وقد ورد ذلك فيإطار من الإيتمولوجيا أي معرفة الكلمة اشتقاقاً ، وهل هي أصلية في

(107) الاقتضاب ٢٠٦ .

(108) المرجع نفسه ٢٠١ .

(109) المرجع نفسه ١٩٥ .

(110) المرجع نفسه ١٩٧ .

العربية أم لا ، مع معرفة معناها فب لغتها الأولى ، ولعل أفضل مؤلف في ذلك هو : (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) لأبي منصور الجواليقي [١١١].

وظل هذا التفاعل إلى يومنا هذا وما يزال – طالما يوجد للعربية من يتكلم بها ويتلو قرآنها صباح مساء .

ولذا نشط العلماء المحدثون في الحديث عن هذا التفاعل الذي تمثل في التعريب والترجمة والدخيل [١١٢].

---

(١١١) وقد حققه وشرحه احمد محمد شاكر ، ونشره في القاهرة عام ١٩٦٩ .

(١١٢) ومنهم أستاذنا الكبير الدكتور رمضان عبدالتواب ، ود. صبحي الصالح ود. تمام حسان .

التفاعل اللغوي

بين العربية وغيرها

كان العرب قبل الإسلام في جاهليتهم – قبائل متناثرة وكانت منغلقة على نفسها ، بحيث لم توجد بينها وبين غيرها من الشعوب الأخرى المجاورة كالفرس والروم أية علاقة لغوية ، إلا ما كان من رحلتي الشتاء والصيف – في بلاد الشام واليمن – وتلك لم يكن لها آثار لغوية إلا قليلاً .

بعد أن من الله تعالى على عباده بعامة – والعرب بخاصة – بذلك الدين الجديد وجدت علاقات لغوية بين العرب وغيرهم من الأقوام الذين خلوا في الإسلام ، وهم الفرس والروم والمصريون ، عن طريق الفتوحات الإسلامية ، بداية منذ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

والتي غرت مناطق هؤلاء الأقوام فتعرب معظمهم ودخل في دين الله أفواجاً .

على أنه ينبغي أن يشار إلى صنيع سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، وهو عدم السماح لبعض كبار صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالبقاء في الأمصار المفتوحة ، وكان ذلك خوفاً عليهم من الدنيا وزخرفها وعدم فتنتهم فيها ، وأدى هذا البقاء في مكة إلى حفظ اللغة ، وذلك بعدم جريانها على ألسنة الشعوب المفتوحة بلادهم ونطقهم اياها بكلمة تشبه نطقهم للغاتهم الأصلية ، كما أن هذا العمل قد عمل على عدم ذوبان العرب في العناصر الأخرى ، أي أنه حافظ على النقاء اللغوي للعربية .

بعد لك حدثت في تاريخ المسلمين ثورات وفتن ؛ اشتملت أواخر عهد عثمان وكل عهد علي وبعضاً من عهد

معاوية رضي الله عنهم أجمعين ، مما أحـــدث تفـــاعلاً لغوياً بين اللغة العربية ولغـــات هـــذه الـــبلاد المفتوحـــة ، واستقرت الأحوال أوائل عصر الدولة الأموية ، ومن ثم فقـــد عادت الفتوحات الإسلامية إلى الانتشار فـــي معظـــم بـــلاد المشرق والغرب والشمال ؛ أي في إيران وباكستان وشـــمال أفريقيا والشام وجنوب أوربا .

أولا: العربية والفارسية:

ارتجت صورة المجتمع الإسلامي لغويا وطبقـــاً أثنـــاء الفتوحات الإسلامية في بلاد إيران وفارس ، وكان ذلك ثمرة طبيعية للاحتكاك بين العرب والفرس ، واتخاذ هذه الاحتكاكا صورا ثلاثة هي :

أ- علاقة الزواج

تزوج بعض العرب المسلمين من غيـــرهم مـــن بنـــات الفرس ، وتبعاً لذلك نشأ جيل جديد من الأبناء الذين هم

وسط بين العرب والفرس في اللغة ، فهم يتعلمون تلك الوطانة الفارسية اللمزوجة باللغة العربية من أمهاتهم ، ولذلك حدث ذلك الفساد اللغوي على ألسنة الزوجات والأبناء ، ولم يكن من الطبيعي أن يظل لكل لغته الأصلية وإلا امتنع التفاهم بينهم .

٢- الموالي :

نشأ من سبايا الحرب وأسراها طبقة جديدة في المجتمع الإسلامي هي طبقة الموالي ، وهذه الطبقة حث عليه القرآن الكريم رعاية واحتراماً ، فهي التي أشار إليها بقوله سبحانه وتعالى : (أو ما ملكت أيمانهم)[١١٣].

وملك اليمين يشمل العبيد والإماء وأسرى الحرب ، والذين هم على دين غير دين الإسلام ، وقد عاملهم الإسلام معاملة حسنة وأوصى بهم .

---

(١١٣) من سورة المؤمنون ٢٣/٦.

ويتجلى ذلك في تكفير بعض الذنوب والكبائر عن طريق (فك رقبة) [114].

وهؤلاء كانت لهم لغة أصلية ، ولما دخلوا الإسلام وعاشوا مع العرب صارت لهم لغة أخرى حاولوا تعلمها ، ومن ثم نشأ اللحن والخطأ في اللغة العربية .

ج- الجيوش :

منالازم أن تقوم علاقة بيع وشراء وحديث بين الجنود الفاتحين وأهالي البلاد المفتوحة ، وذلك هو ما يولد علاقة لغوية وتفاعلاً بين العربية وغيرها .

فليست الفتوحات كلها حروباً ودماً ، بل هناك حركة احتكاك وأسر وتعامل بين الغالب والمغلوب في تلك البلاد ، ومن ذلك أن أحد التجار باع للحجاج بن يوسف بعض

---

(١١٤) من سورة البلد ٩٠/١٣ .

الدواب التي يركبها الجنود للقاتال ، فكانت رديئة ، ولما سئل عن ذلك أجاب بهذه العربية الكيكية كما يلي :

(شريكاتنا في هوا زها وشريكاتنا في مداينها وكما تجي تكون)[115].

أي أنه أراد أن يقول :

شركاؤنا في هوازن وشركاؤنا في المدائن باعوها لنا هكذا رديئة وكا تجئ نبيعها على حالها .

من العوامل السابقة حدث احتكاك لغوي بين العرب والفرس .. كان من نتيجيته دخول ألفاظ فارسية إلى اللغة العربية ومن ذلك .

بازار : بمعنى سوق

---

(115) البيان والتبيين ٦٨/١ .

مرجانه : اسم علم مؤنث

طابية : جزء من أجزاء لعبة الشطرنج

وقد نزل القرآن الكريم قبل ذلك ليؤكد هذه العلاقة بين العربية والفارسية ، حيث وردت فيه عدة ألفاظ فارسية ؛ منها: (سندس – استبرق – قوارير) [١١٦].

يبدو أن من العوامل التي جعلت هناك علاقات لغوية بين الفارسية والعربية تلك الأسر التي دخلت الإسلام وتعربت مثل :

أ- المهالبة ، ورأسهم المهلب بن أبي صفرة

ب- البرامكة ، ورأسهم أبو جعفر البرمكي

---

(١١٦) عرضها كثير من العلماء مثل الجواليقي والسيوطي .

كما أدلى بدلوه ذلك التعريب الذي حدث لمدينتي البصرة والكوفة ، حيث أنشئنا فيعهد الخلفاء الراشدين ، وقد ساعد على رصد هذه الحركة اللغوية في ذلك العهد ما أبرز من كتب عن هذه الحركة اللغوية اثنان هما :

أ- أبو عثمان عمرو بن محبوب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وذلك في تابيه البيان والتبيين ، والحيوان)

ب- أبو منصور محمد الجواليقي (ت هـ) وذلك في كتابه :

(المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم)

وقد طبع الجاحظ كتاباته بطابع اجتماعي أدبي ، من خلال تصويره لطبقات المجتمع الإسلامي آنذاك ، على

اختلافها كاللصـــوص والزنادقـــة والحكـــام والكتـــاب والشعراء وأصحاب الحرف كالتجار والزراع والصناع .

اما الجواليقي فقد أخذ كتابه شكل المعجم حيث رتبه على الحروف الألفبائية مع بعض التحليلات اللغوية .

ثانيا: العربية والمصرية القديمة :

عندما فتح العرب مصر ، في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة ثماني عشرة للهجرة دخل المصريون في دين الله أفواجا ، ولما يكن دخولهم مثله مع الفرس الـــذين دخلوا فرادى ، وربما كان ذلك لأنهم أهل كتـــاب فـــاحتفظوا بعقيدتهم ، أشد مما فعله إذ إنهم كانوا مجوساً .

ولذلك لا نجد تفاعلاً لغوياً كبيراً ، يشبه لك الذي حـــدث مع العربية في بلاد المشرق ، ويمكن أن يكون قـــد حـــدث تفاعل لغوي – ولابد أن يحدث – ولكنه كان بدرجة

قليلة لم تؤثر في اللغة العربية ، بحيث لا يعطي أهمية كي يسجل ، كما أننا إذا أحسنا الظن بتلك العلاقة اللغوية فيمكن أن نقول إنها حدثت ، وبصورة كبرى ، ولكن لم تصلنا ، وذلك لعدم وجود كتاب كبار ، وكما حدث في المشرق كالجاحظ والجواليقي وابن المقفع .

على أنه ينبغي الإشارة إلى أنه لم يكن في مصر عائلات كبرى دخلت الإسلام وتعربت – مثل المهالبة والبرامكة في الفرس .

بل وجدت صلات لغوية بين العربية والمصرية ، وتلك عن طريق مماثلة لما حدث في بلاد فارس ، وهي الجواري والإماء ، والزواج والجيوش الفاتحة .

ومن الكلمات التي ذابت في اللغة العربية وبخاصة في لهجة مصر – مأخوذة من المصرية القديمة :

- كانى ماني وتعني ليس لي سبيل
- تيتا حبا ، وتعني امش رويدا (للطفل)
- بصارة وهي طعام معروف في مصر

وإذا تكلمنا عن بلاد الشام وسورية ولبنان والأردن ، فإننا نلاحظ عدم وجود حاجز بين السكان الاصليين ، والعرب الفاتحين .

وهناك عامل أساسي أثر في حياة أهل بلاد الشام ، وأزال الفوارق بينهم وبين العرب المسلمين الفاتحين ، وهو التجارة عبد القدم منذ الجاهلية فيما عرف برحلة الصيف[١١٧].

وقد ارتبطت رحلة الصيف إلى بلاد الشام برحلة أخرى إلى اليمن هي رحلة الشتاء ، وقد ذكرها القرآن

(١١٧) انظر في هذا التفاعل لبن العربية والفارسية والمصرية : العربية ليوهان فك .

الكريم في قوله سبحانه وتعالى: (لإيـــلاف قـــريش إيلافهم رحلة الشتاء والثبف فليعبدوا رب هذا البيت الـــذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [١١٨].

(١١٨) سورة قريش ١٠٦.

التفاعل اللغوي

في العصر البعاسي

كان العصر العباسي بدأ من ١٣٢هـ فاتحة خير على العرب والمسلمين ، حيث استقرت الأحوال السياسية نوعاً ما، واتجه العرب إلى الشرق والغرب ، فانتشرت اللغة العربية وحدث لها احتكاك كبير بينها وبين غيرها من اللغات كالفارسية بوجه أخص واليونانية وغيرها بعامة، وقد شهد هذا العصر حضارة إسلامية كبرى في مختلف المجالات ، فانعكس ذلك على اللغة العربية ، إذ إنها هي أداة التوصيل والكتابة والترجمة والنشر في ذلك العصر على المستوى الرسمي ، وقد تمكنت هذه اللغة في الألسنة ، وربما كان من أسباب ذلك أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم ، أيا كانت لغته الأصلية ، جزء لا ينفصل من حقيقة الإسلام .

حتى أن الفرس الذين باشروا الحكم آنذاك لــــم يكونــــوا يستطيعون التفكير في رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكــــون لغة الدولة [١١٩].

ومن نهضة اللغة العربية آنذاك تلك الترجمات التي تمت من اللغة الفارسية واليونانية .

ومن أشهر ما تم ترجمته من الفارسية كتــاب (كليلــــة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع (ت١٤٢هــ) وهي حكايــــة خرافية على ألسنة الطيــور والحيوانـــات ، يــتعلم المـــرء منهاالحكمة في تسيير الأمور والتكييف مع الظروف والتعامل مع الآخرين .

ومن أشهر ما تم ترجمته من اليونانيـــة كتـــاب الشـــعر أرسطوطاليس ، والذي ترجمته متى بن يونس القنائي ، وقـــد أحدث هذا الكتاب دويا هائلا في اللغة العربية من خلال

---

[١١٩] العربية ٥٩ .

تأثيره في النحو العربي وبخاصة في المقولات النحوية والصرفية وعلم الكلام وغيرهما من العلوم الإسلامية .

وهذان الكتابان قد نقلا صورة للحياة العقلية وتجارب الحياة وحكمتها وكثيرا ما يتعلق بالحياة ، قي الشعوب غير العربية ، وهي الفارسية واليونانية .

وذلك هو ما أوجد احتكاكا لغويا بين العربية وغيرها من اللغات .

أما بخصوص اللغة المصرية القديمة ، فلا نجد أثرا لترجمة كتاب عنها إلى العربية ، ولعل ذلك راجع إلى أن المصريين القدماء قد جلوا مآثرهم وعلومهم على جدران المعابد ، وليس في كتاب ورقية .

هذا الاحتكاك كان من شأنه إضعاف التماسك والتركيب اللغوي على اختلاف صوره ؛ الصوتية والتركيبية والدلالية والصوفية .

ومن هنا حدث التغيير في البيئة العربية على اختلاف البيئات ففسدت اللغة العربية ولم تنطق كما كان العرب الأقدمون ينطقونها .

وكان هذا الفساد في المدن أو الحواضر أسرع منه في الأعراب ، ولذلك وقف النحويون وأهل اللغة عند الاستشهاد بالنصوص اللغوية إلى حدود القرن الناين الهجري في الدن،والقرن الرابع الهجري في البوادي والصحاري .

وهذا العمل ، وإن كان قد حرص على أخذ اللغة من منابعها الأولى دون اختلاط بغيرها من اللغات التي بدأت معها آنذاك إلا أنه قد حرمنا من التطور اللغوي ورصده

في مراحله التالية لذلك ؛ حيث تحجرت النصوص والاستشهادات بكلام هؤلاء الأعراب عند هذا الزمن .

عندما قام المهتمون باللغة يدرسونها وقعدون لأصولها وبنيتها وتركيبها ؛ كان عليهم أن يستقرئوا الكلام العربي الفصيح ؛ لكي يضعوا القواعد والقوانين التي تنظم هذا المنطوق ، ومن هنا نشأت الرحلة إلى أهل البوادي للسماع من الأعراب والأخذ عنهم ومن هنا نشأت فكرة الرواية اللغوية .

فنجد سيبويه فيكتابه يستشهد بكثير من أقوالهم ، ويصفهم بأنهم (من ترتض عربيته ، من يوثق بكلامه ، من أثف بعربيته ... إلخ) [١٢٠].

ومن هنا اشتهر من الأعراب أسماء كثيرة كانت بمثابة الرواة اللغويين الذين يمدون النحاة واللغويين بما

---

[١٢٠] انظر الكتاب ١ /٢٥٦، ٣١٩، ٢٦٥/٩٢،٣.

يحتاجونه من الأساليب والكلمات ، التي تمثل قاعدة معينة أو خروجاً على قاعدة[121] ومن هؤلاء الأعراب الرواة نجد:

١- أبو ثروان العكلي
٢- خصيب الكعلبي
٣- أبو الدقين القنائي الفئوي
٤- أبو زياد الكلابي
٥- سعيد بن ضمضم الكلابي
٦- أبو شبل العقيلي
٧- نصر الهجيمي
٨- أبو مرة الكلابي [122].

---

(١٢١) لمعرفة معنى الرواية اللغوية انظر بناء الجملة في لهجة الواحات ٦٠٧ والرواية والاستشهاد باللغة ٥-٢٩.

(١٢٢) لمعرفة المزيد راجع إلى الأعراب الرواة ١٧٩- ٢٥٨ .

ثم اهتزت صورة الأعراب في المحاضـــرة ، وســـاور العلماء ، والرواة الشك فيما يأتي بع الأعراب .

فاختلفت أئلتهم عن ذي قبل ، فكانوا يطلبون منهم مجرد الكلام ، وكان كل ما يأتي بي الأعرابي صالحاً موجهاً حتـــى رخيص الثرثرة [123].

ومن هنا وجدناهم يحكمون في الخلافات التي دارت بين النحاة ، وندلل على ذلك بتلك المنـــاظرة التـــي دارت بـــين سيبويه والكسائي ، فيما عرف باسم (المسألة الزنبوريـــة) وملخصها هو : جلس الكسائي على بن حمزة فـــي مجلـــس الوزير يحيى بن خالد البرمكي ومعهما سيبويه ، فدار بينهما حوار حول الجملة التالي التي نطقها الكسائي .

(كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور)

---

(١٢٣) المرجع السابق ١٠٨.

هل يقال بعد ذلك فإذا هو هي أو " فإذا هو إياها " ؟

وكان معهم في ذلك المجلس بعض الأعــراب ، فقــال سيبويه : يقال : فإذا هو هي لأن ما بعد إذا الفجائيــة يكــون مبتدأ أو خبراً كما في قوله تعالى : (ونزع يده فــإذا هــي بيضاء) [١٢٤].

ولكن الكسائي قال له : فإذا هو إياهــا ، ولمــا حاجــه سيبويه استشهد الكسائي ببعض من كان واقفا بالبــاب مــن الأعراب ، فقالوا إن الحق والصــواب مــا قالــه الشــيخ ، يقصدون الكسائي [١٢٥].

ومن هنا تزعزت هذه الثقة في بعض هؤلاء الأعراب ، ولم يعد لهم من التصديق ما كان لهــم فــي بدايــة عهــدهم الروائي .

([١٢٤]) سورة الشعراء ٢٦-٣٣.

([١٢٥]) انظر وفيات الأعيان ١٣٤/٣ مغني اللبيب ٧٤/١.

ولذلك فلا عغزو أن وجدنا علماء رواة في الوقت نفسه، ومن أمثال :

١- أبو عمرو العلاء

٢- عبدالله بن عباس

هذه هي حالة اللغة العربية في العصر العابسي بين أخذ ورد واستشهاد بكلام الأعارب ورواية لكلامهم ، وتفاعلها من خلال الترجمة من الفارسية واليونانية إليها .

نتائج التفاعل اللغوي

بين العربية وغيرها

كان لذلك التفاعل اللغوي الذي حدث بين اللغة العربيـــة وغيرها من اللغات آثار بعيدة المدى ، في المستوى اللغــوي الذي كان سائداً آنذاك فإذا كان العرب قد سار معظمهم على نهج لغوي شبه موحد ، وهو الفصحى المشتركة ، فإن الذين دخلوا في الاسم قد استخدموها بصـــورة مخالفـــة ، وهـــذه الصورة قد أثرت بالتالي في تنوع المستوى اللغوي الواحـــد الذي كان سائداً .

ويمكن تلخيص الآثار اللغوية التي ترتبت علـــى هـــذا التفاعل في النقاط الآتية :

أ- **ظهور اللحن :**

ونقصد به الخطأ في اللغة[١٢٦] صوتاًوصــرفاً وتركيبــاً ودلالة ، وهذا الخطأ لم تكن بدايته في العصــر الأمــوي ، عندما اختلط المسلمون العرب بغيرهم ، بل إن بدايته ظهرت منذ حياة رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ، حيث أخطــأ أحد الذين كانوا يحادثونه مرة ، فقال للجالسين : (أرشــدوا أخاكم فقد ضل).

ومن أشهر من تكلم فأخطأ أولئك الذين نقلت أخبــارهم عبر كتب الأدب واللغة ، ونختار منهم ابنــة أبــي الأســود الدؤلي حين قالت لأبيها متعجبة من صفاء السماء ذات ليلة : (يا أبت ما أجمل السماء)

فقال لها : نجومهــا ، فقالــت لــه : أردت أتعجــب لا أستفهم، فأرشدها أن تقول (ما أجمل السماء!) [١٢٧].

---

(١٢٦) انظر ما سبق عرضه في قضية اللحن في هذا الكتاب .

(١٢٧)انظر : اخبار النحو بين البصريين ٣٦ وروايات أخرى ص٣٩.

وذلك الأعرابي الذين قرأ قوله سبحانه وتعالى :

(إن الله برئ من المشركين ورسوله) [١٢٨].

فكر لام (رسوله) عطفاً على المشركين [١٢٩].

وكانت هذه الأخطاء من أسباب نشأة النحو العربي

ب- **ظهور القراءات الشاذة** [١٣٠]:

ويقصد بها تلك القراءات التي لم ينطق بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن أمثلة هذه القراءات :

---

(١٢٨) من سورة التوبة ٣/٩.

(١٢٩) انظر أخبار النحويين البصريين ٣٤.

(١٣٠) تعرف القراءة الشاذة بأنها ما افتقدت أحد الشروط التالية أو أكثر :

- نطق النبي – صلي الله عليه وسلم بها
- موافقتها لخط المصحف
- موافقتها لقوانين اللغة العربية .

الحسن البصري في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) [١٣١].

حيث قرأها بكسر دال كلمة الحمد ، اتباعا لكسرة اللام في لفظ الجلالة ، هكذا (الحمدِ لله) .

كما قرأ قوله تعالى : (وما تنزلت به الشياطين) [١٣٢].

بواو بعد الطاء بدلا من الياء هكذا (الشياطون) .

وذلك اشتباها بجمع المذكر السالم .

وكذلك قرأ أول سورة (ص)

قوله تعالى (ص. والقرآن ذي الذكر) [١٣٣] باعتبار اسم الحرف (ص) (صاد) يكسر الدال هكذا (صادي) .

---

(١٣١) من سورة الفاتحة ٢/١.

(١٣٢) من سورة الشعراء ١١٠/٢٦ .

(١٣٣) من سورة ص ١/٣٨.

وقد اعتبر الجاحظ هذه القراءات خطأ [١٣٤]، علي حين تحدث عنها علماء القراءات وعدوها شاذة [١٣٥].

كما أثر عن الحجاج بن يوسف الثقفي بعض الأخطاء في القرآن الكريم ، منها أنه قرأ قول الحق سبحانه وتعالى:

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فرتبصوا) [١٣٦]برفع الباء من كلمة أحب.

وذلك لتوهمهم رفعها على الخبر بعد أن طال الكلام بين (كان) وخبرها الذي يستحق النصب [١٣٧].

---

(١٣٤) انظر البيان والتبيين ٤/٢.

(١٣٥) انظر الكشاف ١٠١/١ ومختصر القراءات الشاذة ١٠٨، ١٢٩ .

(١٣٦) من سورة التوبة ٢٤/٩.

(١٣٧) انظر طبقات فحول الشعراء ٦.

وقرأ كذلك آية السجدة (إنا من المجرمين منتقمون)[١٣٨].

بوجود لام قبل الخبر (لمنتقمون) .

وهكذا كله كان نتيجة لذلك الحس اللغوي الـــذي ضـــاع معظمه أيام الانفتاح على الشعوب الأخـــرى ، ثـــم جـــاءت النتيجة الثالثة لهذا التفاعل اللغوي .

ج- **تقعيد اللغة :**

لما رأى اللغويون العرب ما آلت إليه عربيتهم ، حـــين اتصلت بالفارسية وغيرها من اللغات ، وما حدث فيها علـــى ألسنة أهلها ، ومن دخل في الإسلام من غيرهم عملوا علـــى حمايتها متمثلة في القرآن الكريم .

---

(١٣٨) من سورة السجدة ٣٢/٢٢ .

ومن ثم فكروا فيما سمعوه من هذا اللحن الـــذي جـــرى على الألسنة ، فوجدوه مخالفاً لما عرفته العرب في جاهليتها وإسلامها .

ومن هنا استثرأ علماء اللغة هذه اللغة الفصحى فوجدوا:

- الاسم المبدوءة به الجملة مرفوعاً والخبر بعده مرفوعاً أيضاً
- فسموا الأول مبتدأ والثاني خبراً ، ورأوا أنهما مرفوعان
- الفعل يأتي ليدل على المضي فيبني ، ويدل على الحالية فيعرب ، وعلى الطبل فيبني .

فقالوا إن للفعل أقساماً ثلاثاً هـــي الماضـــي والحـــالي والأمر.

وهكذا استقرأ هؤلاء العلماء المتخصصون في اللغة العربية ، وقعدوا لها حرصاً عليها ، وعلى فهم الكتاب الكريم وحفظه من التغيير والتبديل .

ومن أوائل النحاة:

١- أبو الأسود الدؤل (ت٦٩هـ)
٢- عبدالله بن إسحق الحضرمي (ت١١٧هـ)
٣- عيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩هـ)
٤- أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)
٥- الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)
٦- سيبويه (ت١٨٠هـ)
٧- يونس بن حبيب (ت١٨٣هـ)

ولعل أولهم من حيث تقدم الزمن هو أبو الأسود الدؤلي، فهو الذي أشار إليه على – كرم الله وجهه ، ورضى تعالى عنه – بوضع النحو .

وبذلك استطاع هؤلاء النحاة الأوائل أن يواجهوا هذه الموجه ، التي كادت تقضي على كثير من معالم اللغة آنذاك، واستطاعوا أن يجعلوا للعربية نظماً وقواعد وأسساً تميز عن طريقها – أو يجب أن يسير عليها من يريد أن يتحدث حديثاً صحيحاً لا خطأ فيه .

ولكن ثارت ثائرة بعض الشعراء لذلك وهو ما نتناوله في نتيجة التالية :

د- مساجلات الشعراء والمحاة:

يحب الشاعر أن يكون حراً طليقاً من كل قيد ، ولذا قد يكره أن يقيد بالإعراب أو الوزن أو القافية .

ومن هنالك وجدنا كثيرا من الزخرفات والعلل ، التـــي تدل على ذلك الخروج من تلك القيود ، كما وجــدنا أيضــاً الإيطاء والسناد والإقواء ، والضرورات الشعرية .

وهي تدل أيضاً على ضيق الشاعر من هذه المفروضات عليه .

نأخذ من هذه المناقشات ما حدث بين الفرزدق وعبــدالله بن إسحاق الحضرمي ، فقد أنشد الفرزدق في قصيدة له يمدح يزيد بن عبدالملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنا

بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا يلقي وأرحلنا

على زواحف تزجي مخهارير[١٣٩]

([١٣٩])ديوان الفرزدق ٢١٣/١.

فوجد عبدالله إواء في البيت ، وهو اختلاف حركة الروي في البيتين ، وظل يلح على الفرزدق حتى يكسر قافية البيت التالي فجعلها الفرزدق هكذا

(على زواحف نزجيها محاسير) [١٤٠]

ولما كثرت أمثال هذه الاعتراضات على الفرزدق من عبدالله الحضرمي هاجمه بيت هو :

فلو كان عبدالله مولى هجوته

ولكن عبدالله مولى مواليا[١٤١]

فرأى أيضاً في هذا البيت خطأ وهو في كلمة (مواليا)..حيث هي مضاف إليه للمضاف (مولى) ولذا فموقعها الجر ، ولما كانت كلمة منقوصة فلابد من حذف يأتها والتعويض عنها بالتنوين (مولى موال)

---

(١٤٠) انظر أخبار النحويين البصريين ٤٤ والموشح ٩٠.

(١٤١) الكتاب لسيبويه ٣/٣١٣ وطبقات فحول الشعراء ٣٢ وأخبار النحويين ٤٤.

هـــ تعقيد الشعر:

كان من الطبيعي تجاه هذه الأحاديث اللغوية وبناء قواعد وأسس للغة العربية على مستويات اللغوية الأربعة – وصوتاً وصرفا وتركيبا ودلالة أن يحدث رد فعـــل لهـــذه الأمـــور وتمثلت هذه الردود في محاولة تغيير بناء الجملـــة العربيـــة داخل إطار الشعر العربي ومن ذلك قول الفرزدق مثلاً :

وما مثله في الناس إلامملكا

أبو أمه حي أبوه يقاربه

فها التركيب معقد وبساطة هي : (ما مثله فـــي النـــاس مملكا إلا أبوه وأبو أمه حي يقاربه) [١٤٢].

---

(١٤٢) انظر العربية ٤٦والموشح ٩٣- ٩٤ .

كذلك نجد قول ذي الرمة

جراجيج ما تنفك إلا مناخة

على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا[١٤٣].

فهنا نجد إقحام أداة الاستثناء (إلا) بين الفعل الناسخ وخبره ، وصحته اللغوية هي (ما تنفك مناخه) [١٤٤].

وكذا قول أحد الشعراء يمدح الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة عادية

طالت فليس تنالها الأوعالا[١٤٥].

([١٤٣]) ديوان دي الرمة ١٧٣ والكتاب ٤٨/٣ وشرح ابن يعيش ١٠٦/٧، همع الهوامع ١٢٠/١، ٢٣٠ وشرح الأشموني ٢٤٦/١ والموشح ١٦٥-١٦٧ .

([١٤٤])انظر العربية ٤٦.

([١٤٥]) انظر العمدة ١٧٤/١ وتاج العرومي ٤٢٣/٧.

فالناظر لأول وهله يرى في البيت خطأ وهو نصب الفاعل (الأوعالا) ، ولكن يوهان فك رأى صحة البت في شطره الثاني كما يلي : (طالت الأوعال فليست تنالها)

وعقب على ذلك فقال : " بيد أن من شعراء البادية من سمح لنفسه بحرية أجرأ من هذه ، فلا يجوز لأحد أن يرجع هذه الظاهرة إلى أصل الشاعر غير العربي[١٤٦] .

---

(١٤٦) العربية ٤٦.

الفصل الرابع

اللسانيات المقارنة

Coparative linguistics

يدرس هذا المنهج المقارن بين لغتين مختلفتين كلتاهما من أسرة واحدة ، كالعربية والعبرية أو العربية والسريانية أو العربية والحبشية أو العبرية والسريانية ، أو العبرية والحبشية ، فهي لغات تتبع واحدة هي اللغات السامية .

واللغة الإنجليزية والسلافية أو الفارسية والفرنسية ، فهي من فصيلة واحدة هي الهندوأوربية .

واللغات اليابانية والثينية والتبتية والهندية ، فهي من فصيلة اللغات الطوارتية .

وهذه المقارنة بين كل لغتين مما سبق لابد أن تتناول احدى النواحي التالية :

١- الأصوات ومخارجها ، ونطقها ، وصفاتها ، وتأثرها بما يجاورها ... الخ
٢- النبية الصرفية ، وطرق اشتقاقها ، ودلالالتها على المعاني الصرفية المتعددة .

٣- النحو ، وطرق تركيب الجملة وأقسامها ، وأركانها وطرق نفيها أو اثباتها أو شرطها ، أو تعلقها بجملة أخرى .

٤- دلالة الألفاظ على معانيها المتعددة ، والفرق بين الدلالة المعنوية والاصطلاحية ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى المراد ولنمثل اكثر بما يلي:

- الاسم الموصول في العربية والعبرية
- الأصوات الأسنانية اللثوية بين العربية والسريانية

الكلمات الدالة على الظواهر الطبيعية بين العربية والسريانية .

- الجملة الاسمية بين العبرية والعربية

ويستعين هذا المنهج المقارن بالمنهج الوصفي في معرفة الظواهر اللغوية الموجودة في لغة ما ، ثم مقارنتها بما هو موجود في لغة أخرى ، وقد يستعين بالمنهج التاريخي في تأصيا الظواهر اللغوية الموجودة ، وإرجاعها إلى أصولها اللغوية .

وهذا المنهج حديث نسبياً ، إذ لم يكتشف إلا فـــي القــرن التاسع عشر حينما قسم علماء اللغة الغربيون المحثون اللغــات إلى أسرات لغوية كالسامية ، والحاميـــة ، والهندوأروبيـــة [١٤٧] وذلك على أساس أوجه التشابه والاتفاق، في النواحي الصـــوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

وتمثل هنا على أوجه التشابه التي تصلح ميــدانا للبحــث المقارن ، بين اللغات السامية مثلاً ، فتركيب الجملة في العبرية كالعربية يخضع لقسمين كبيرين هما :

١- الاسمية
٢- الفعلية

فالاسمية في العربية مثل :

---

(١٤٧) انظر r.h.robins,a short history ,p,١٦٤-١٩٧
والمدخل إلى علم اللغة ١٩٨-٢٠٧ وعلم اللغة العربية ٣٥-٣٧.

" أنا الله " [148].

وفي العبرية

والفعلية في العربية مثل :

ذهب محمد

وفي العبرية هي :

---

[148] من سورة طه ٢٠/١٤ والآية بتمامها " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني".

" لهجة الاستنطاء"

الاستنطاء كلمة على وزن (الاستفعال) وهي مصدر للفعل الثلاثـي المزيـد بالهمزة والسين والتاء (استنطى) من الفعل الثلاثي المجرد (نطى) ولها معان كثيرة نجملها فيما يلي :

المعنى اللغوي :

جاء في معجم الألفاظ [١٤٩]أن النطو هو المد ، والفعل منه هو : نطوت الحبل إذا مددته ، والنطو هو البعد والنطاء قمع البسرة والشمروخ والنطو هـو السـكوت بلهجة حمير [١٥٠].

ومنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يملي على الشعبي كتاباً وهو يستفهمه فدخل رجل فقال له : أنط أي اسكت [١٥١].

المعنى الاصطلاحي :

هو قلب العين الساكنة نوناً إذا جاورتها طاء بعدها [١٥٢].

موطنها : تنسب هذه اللهجة إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل وقـيس والأزدي والأنصار [١٥٣].

---

(١٤٩) هي المعاجم التي عالجت اللفظة مفرداً بترتيب مخرجي أو الفبائي حسب أول الكلمـة أو آخرها وقد ذكرت ذلك تمييزا له عن معاجم الموضوعات .

(١٥٠) لاحظ أن هنا تغييراً دلاليا للكلمة .

(١٥١) انظر لسان العرب (نطى)٦٦٤/٣ والمعجم الوسيط ٩١٣/٢ والقاموس المحـيط ٣٩٦/٤ وأساس البلاغة ٦٤٠.

(١٥٢) انظر فصول في فقه العربية ١٢٠.

(١٥٣) انظر الاقتراح في علم أصول النحو ٨٣والمزهر في علوم اللغة ٢٢٢/١ ولسان العـرب (نطى) ٦٦٤/٣.

شواهدها :

قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

- اليد المنطية خير من اليد السفلى ، أي المعطية
- لا مانع لما انطيت ولا منطي لما منعت ، أي لما أعطيت ولا معطي
- انطه كذا ، أي أعطه(١٥٤)

تفسيرها:

- إن الذي حدث في الأحاديث الشريفة السابقة هو إبدال العين الساكنة نوناً ، إذا كان بعدها طاء ، ولا يمكن لعلم اللغة الحديث ؛ بقوانينه الصوتية المعروفة ، أن يعلل أو يفسر تحول فونيم العين إلى النون .

ذلك لأن إبدال الأصوات بعضها من بعض لا يحدث صدفة ، بل لابد من قوانين معينة يخضع لها هذا الإبدال ؛ ومنها اتحاد المخرج وقرب الصفات أو اتحاد الصفات وقرب المخرج كما في فونيمات .

- العين والعحاء والعين والهمزة ، والجيم والدال والياء ، والميم والنون واللام والميم (١٥٥)وهذا هو ما عرفه ودرسه نحاة العربية بدءاً من سيبويه (ت١٨٠هـ) (١٥٦) ومروراً بابن جني (ت٣٩٢هـ) (١٥٧) والسيوطي (ت٩١١هـ)(١٥٨).

---

(١٥٤) انظر النهاية في غريب الحديث ٧٦/٥ ولسان العرب ٦٦٤/٣ والمعجم الوسيط ٩٣١/٣ وتأويل مشكل القرآن ٢٣٧.

(١٥٥)انظر الكتاب ٤٤٦/٤ وما بعدها.

(١٥٦) انظر المرجع نفسه ٤٤٥/٤ وما بعدها

(١٥٧)انظر سر صناعة الإعراب ١٩٧/١.

(١٥٨) انظر المزهر ٤٦٠/١وما بعدها .

أما إبدال العين نونا فليس له سبب صوتي معروف ، فبين الصوتين بعد كبير في المخرج فالعين صوت حلقي رخو مجهور مرقق [١٥٩]والنون صوت أنفي متوسطمجهور مرقق[١٦٠].

فهما لا يشتركان إلا في صفتي الجهر والترقيق ، وبذلك لا يمكن أن يبدل أحدهما إلى الآخر أبدا ، ولعل هذا هو السبب في عدم تعرض علماء اللغة العرب القدامى لدراسة هذا التغيير أو بيان أسبابه .

وقد تعرض لتفسير هذا التغيير من العين إلى النون بعض اللغويين المحدثين .

فمن اللغويين الغربيين نجد رابين c.rabin الذي فسرها باستخدام المنهج المقارن حين ربط بين الفعل (أنطى) في العربية والفعل natan في العبرية (مـــد) ، ثم ربط هذا الفعل في التركيب (مد يده إلى) .

ربطه بالفعل العربي (أمطى) في الجملة (أمطى الظهر) أي أعطاه المعطية ، ثم حاول أن يربط الفعل (أنطى) بما يقابله في اللغتين الحبشية والأمهرية [١٦١].

ومن اللغويين العرب نجد د. إبراهيم السامراني وأستاذنا د. رمضان عبدالتواب ، قد تعرضا لهذه اللهجة ولتفسيرها .

فأما د. السامراني فقد حاول أن يفسرها باستخدام المنهج الوصفي ، دون اللجوء إلى المقارنة باللغات السامية الأخرى ، حيث رأى أن النون لا

---

(١٥٩) المدخل إلى علم اللغة ٥٥ والأصول ١١٩ والأصوات اللغوية ٨٨.

(١٦٠) المراجع نفسها على التوالي ٩٤/١٢٥/٦٦.

(١٦١) أنظر c.rabin , anaientwest arabianp,٣٣.

تقابل العين في أعطى ، وإنما جاءت من أن الفعل كان (أتى) بمعنى أعطى ثم ضعف الفعل فصار (أتى) بتشديد التاء ثم فك هذا الإدغال بمخالفة بصوت النون كما يحدث في كثير من الكلمات العربية مثل : جَدل وجَندل فصار الفعل أنتي ، ثم فخمت التاء طاء فجاءت صيغة (أنطى) [١٦٢].

وأما أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب فقد استخدم المنهج المقارن في تفسيرها ، بحث عن مقابل أعطى في اللغة العربية والسريانية ، حين قال : " إننا إذا رجعنا إلى اللغات السامية لنبحث فيها عن مقابلة كلمة (أعطى) وجدنا في العبرية (natan) أي نون ، وتاء ونون وفي السرانية في المضارع yettell مع إدغام النون الأولى في التاء والنون الثانية في لام الجر .

ولعل ما حدث في لغة هذه المقابلة التي روى عنها الاستنطاء هو عملية نحت لما في هاتين اللغتين واللغة العربية ، فأخذ فاء الفعل من العبرية والسريانية ، وبقيت عينه ولامه كما في العربية [١٦٣].

وهذه اللهجة لها واهد أخرى في القرآن الكريم والشعر العربي القديم ، ففي القرآن الكريم قوله (إنا أعطيناك الكوثر) [١٦٤] ، حيث قرأت(أنطيناك)[١٦٥]

---

(١٦٢) انظر دراسات في اللغة ٢١٧.

(١٦٣) فثول في فقه العربية ١٢٢.

(١٦٤) المرجع نفسه ١٢٢.

(١٦٥) سورة الكوثر ١/١٠٨.

كما وردت في قول لقيط بن زرارة لأخيه معبد – وقد طلب إليه حين أسر – أن يفديه بمائتين من الإبل :

" ما أنا بمنط عنك يئاً يكون على أهل بيتك منه سكباً ويدرب له الناس درباً "[١٦٦]

وفي الشعر نجد قول الأعشى .

جيادك في القيظ في نعمة .. تصان الجلال وتنطي الشعيرا[١٦٧]

ما أن قلب العين نوناً مع مجاورتها الطاء ، دون التقيد بتسكينها ، قد جاء قول العرب (عطان نطشان) [١٦٨] ، وهو ما عرف بالإتباع .

---

(١٦٦)انظر تفسير القرطبي ٢١٦/٢٠ وهي قراءة شاذة عن الحسنوطلحة بن مصرف .

(١٦٧) أساس البلاغة (سكب) ٣٠٢.

(١٦٨) انظر لسان العرب (عطش) ٨١١/٢.

لهجة أكلوني البراغيث

هذه اللهجة الوحيدة ذات الاسم امكون من جملة فعلية وليست ذات اسم مشتق (مصدر) ، كما في بقية أسماء اللهجات العربية ، ولعل صاحب هذه التسمية هو سيبويه الذي كان أول من مثل لها في كتابه ، واختار لها هذا المثال[١٦٩] ، " فقال في قول من قال " أكلوني البراغيث "[١٧٠]

المعنى الاصطلاحي :

تعني هذه اللهجة مطابقة الفعل للفاعل ف العدد من حيث التثنية والجمع ؛ أي إلحاق علامة تثنية أو جمع للفعل ليطابق فاعله[١٧١]

موطنها :

قبيلة بلحارث بن كعب وطيئ وأزد شنوءة

شواهدها :

الأحاديث التالية:

١- " يتعاقبون" فيكم ملائكة بالليل وبالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر " [١٧٢].

٢- " اللهم حوالينا ولا علينا ، فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم"[١٧٣].

---

(١٦٩) انظر بحوث ومقالات في اللغة .

(١٧٠) الكتاب ١٩/١.

(١٧١) انظر المرجع نفسه ٤٠/٢، ٤١ والكافية ١٤٤/٢، مغني اللبيب ٣٧٨/٢ وشذور الذهب ١٧٦، ١٧٩.

(١٧٢) صحيح البخاري (كتاب الصلاة)١٣٩/١.

(١٧٣) المرجع نفسه (كتاب الاستسقاء) ١٩/٢.

٣-" من كن له ثلاث بنات ؛ يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن ؛ وجبت ل الجنة البته"[١٧٤]

٤-" فأرجوا حت يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم "[١٧٥]

٥-" لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم"[١٧٦]

٦-" كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الناس"[١٧٧]

تفسيرات اللهجة :

لعل هذه الظاهرة هي أكثر الظواهر للهجية التي نالت اهتمام اللغويين والمفسرين العرب ، أما المحدثون فلم يشرحوها ، ومنهم ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) في شرحه لحديث (كن نساء المؤنات) يقول : " قال الكرماني : هو مثل أكلوني البراغيث لأنه قياسه الإفراد وقد جمع "[١٧٨] ، وفي شرحه لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة) يعتمد على المفسرين فيقول " قال الطبري في تفسيره" [١٧٩].

وأما المفسرون فنجد منهم القرطبي (ت٧٦١هـ) يقول عنها توجيها لآية المائدة (ثم عموا وصموا كثيرا منهم) " أي عمي كثير منهم

(١٧٤) مسند أحمد ٣٠٢/٣ وانظر بلفظ من كن له بنات أو ثلاث

(١٧٥) صحيح البخاري (كتاب الوكالة) ٦٢/٣.

(١٧٦) مسند أحمد ٣٨/١٢.

(١٧٧) فتح الباري ٥٥/٢.

(١٧٨) المرجع نفسه ٣٤/٢.

(١٧٩) المراجع نفسها على التوالي ٦٦/١٢٥/٩٤.

وصم بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه الصلاة والسلام ؛ فارتفع كثير على البدل من الواو ، ويقال الأخفش سعيد : كما تقول : رأيت قومك ثلـــثهم ، وإن شئت كان على إضمار مبتدأ ؛ أي العمى والصم كثير منهم ، وإن شئت كـــان التقدير : العمى والصم منهم كثير ، وجواب رابع أن يكون على لغة من قـــال أكلوني البراغيث .. ويجوز في غير القرآن (كثيراً) بالنصب ، ويكون نعتـــاً لمصدر محذوف " (١٨٠).

وإن كان القرطبي هنا قد أورد أربعة توجيهات في هذه الآية ، فقد أورد سبعة توجيهات في آية الأنبياء ، حين قال :

(وأسروا النجوى الذين ظلموا) أي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب ، ثم بين من هم فقال : الذين ظلموا ، أي الذين أشركوا ، فالذين ظلموا بدل من الواو في (أسروا) ، وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم ... قال المبرد : وهو كقولك إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله ، فبنو بدل من الواو في انطلقوا وقيل هو رفع على الذم ، أي هم الذين ظلموا وقيل : عل حذف القول ، والتقدير : يقول الذين ظلموا .. واختار هذا القول النحاس قال : والدليل على صحة هذا الجواب أن بعده : (هل هذا إلا بشر مثلكم) ، وقول رابع : يكون منصوباً بمعنـــى : أعني الذين ظلموا وأجاز الفراء أن يكون خفضاً بمعنى اقترب للنـــاس الـــذين ظلموا حسابهم .. وأجاز الأخفش الرفع على لغة من قال أكلوني البراغيـــث : هو حسن .. وقال الكسائي : فيه تقديم وتأخير ، مجازه : الذين ظلموا أســـروا النجوى "(١٨١)

---

(١٨٠) تفسير القرطبي ٢٤٨/٦.

(١٨١) المرجع نفسه ٢٦٨/١١ وانظر : إعراب القرآن ٣٦٦/٢.

وإذا كان سيبويه هو أول من وضع لهذه اللهجة اسمها فخو أيضـــا أول مـــن شرحها وحاول تفسيرها فقال :

" واعلم أن من العرب من يقول ضربوني قومك ، وضربني أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) ، وكـــأنهم أرادوا أن يجعلـــوا للجمـــع علامة ، كما للمؤنث ، وهي قليلة [١٨٢].

ومع أن سيبويه هنا قد حكم بأن الضمير المتصل بالفعل علامة للجمع ولـــيس ضميراً، إلا أنه يعود فيرى أن ضمير وبدل من الفاعل ؛ وذلك للجمع وليس ضميراً ، إلا أنه يعود فيرى أنه صمير وبدل من الفاعل ، وذلك في معلاض حدبثه عن قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فقال وأما قوله جل ثناؤه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) ، فإنما يجيء على البدل ، وكأنه قال : انطلقوا ، فقال : بنـــو فـــلان فلان ، فقوله عز وجل " وأسروا االنجوى الذين ظلموا " على هذا فيما زعم يونس " [١٨٣].

ومن اللغويين أيضا نجد ابا البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) فـــي تعليقـــه علـــى حديث (من كن له ثلاث بنات ..) يقول :

" ويقع في هذه الرواية (كن) يتشديد النون ، والوجه : من كان لـــه أو مـــن كانت له ، الوجه في الرواية المشهورة أنه جعل النون علامة مجردة للجمع، وليست اسما مضمرا ، كما أن تاء التأنيث في قولك : قامت وقعدت هند، علامة لا اسم وقد ورد عنهم ذلك ... وعليه حمل قوله تعالى : (ثم عموا وصموا كثيـــر مـــنهم) و(وأسروا النجوى الذين ظلموا) في أحد الوجهين ، وقيل النون اسم مضـــمر ، وهـــو فاعل وثلاث بدل منه ، ومن هذا

([١٨٢]) الكتاب ٢/٤٠.

([١٨٣]) المرجع نفسه ٢/٤١ ويونس هو ابن حبيب البصري (٣١٨٣هـ) من أوائل النحـــويين ، انظر أخبار النحويين البصريين ٥١ وطبقات النحويين ٥١.

قولهم : أكلوني البراغيث ، كما نرى السيوطي (ت١١١هـ) يعترض على حديث (يتعاقبون فيكم ملائكة) فيقول : إن الواو فيه علامة إضمار لأنه حديث مختصر رواه البزار مطولا مجردا ، قال فيه : " إن الله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار[184] ولو فطن السيوطي إلى صحيح البخاري ، وهو أصح مما يرويه البزار ، لرأى أنه قد ورد الحيث بنص آخر عند البخاري ، نفسه ، وهو : (الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائة بالنهار)[185]

كما ورد حديث (يرفعوا إلينا عرفائكم) ، بلفظ آخر وهو إفراد الفعل (يرفع) فيرواية أخرى[186]

كما يرى في موضع آخر أن الضمائر الملحقة بالأفعال في هذه اللهجة حروف مثل (ال وتاء التانيث)لا ضمائر[187]

وقد أحسن ابن الحاجب صنعا (ت٦٤٦هـ) حين لم يتعرض لها بالشرح أو الأويل ، يب اكتفى بذكرها فقط فقال :

وكذا إذا سميت بـ (يضربان ويضربون) على لغة (يتعاقبون عليهم الملائكة) [188]، واكتفى أيضا شارح الكافية ، الرغمي الاسترابذي بقوله " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ملائكة بالنهار ... الحديث[189]

([184]) اعراب الحديث النبوي ٧٧ .
([185]) الاقتراح ١٩/١٨ وانظر : خزانة الأدب ١٤/١ ،١٥ /٢٣٥ ، ٢٣٤.
([186]) صحيح البخاري (كتاب بدء الخلق) ٨١/٤.
([187]) انظر المرجع نفسه (كتاب العتق) ١٢٢/٣ وكتاب الهبة ١٣٩/٣ وكتاب فرض الخمس ٤٥/٤ وكتاب المغازي ١٠٠/٥ وكتاب الأحكام ١١٥/٨ ولعل هذا الإفراد يدل عل اختف قبيلة المخاطب وبالتالي اختلاف لهجته .
([188]) انظر همع الهوامع ١٦٠/١.
([189]) الكافية ١٤٤/٢.

أما ابن هشام الأنصاري (ت٦١هـ) فقد اكتفى بذكرها وذكر شواهد عليها دون شرحها ، إلا فيما يختص بالآيتين السابقتين ، فقال في شذور الذهب : " ومن العرب من يلحق علامات دالة على ذلك ، كما يلحق للجميع علامة دالة على التأنيث، كقوله :

تولي القتال المارقين بنفسه   وقد أسلماه مبعد وحميم (١٩٠)

وقوله (يتعاقبون) وقول بعض العرب (أكلوني البراغيث) ... وقد حمل على تلك اللغة آيات من التنزيل العظيم ، منها قوله سبحانه وتعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) ، والأجود تخريجها على غير ذلك ، أحسن الوجوه فيها إعراب (الذين ظلموا) مبتدأ و(أسروا النجوى) خبر ... (١٩١) ، ورغم أنه هنا يختار التقديم والتأخير فيعرب الفاعل مبتدأ والفعل جملة فعلية خبرا له ، إلا أنه يتأرجح مرة أخرى في " قاما أخواك فإن الألف إن قدرت حرف تثنية ، كما أن التاء حرف تأنيث في قامت هن ، أو اسماً وأخواك بدل منها ، فالجملة فعلية ، وإن قدرت اسما وما بعدها مبتدأ فالجملة اسمية قدم خبرها (١٩٢).

من كل ما سبق نرى كيف حاول اللغويون العرب القدماء تفسير هذه الظاهرة ، وذلك عن طريق التأويلات العقلية ورأوا لها سبعة تأويلات ، مطبقة على آة سورة الأنبياء ، وهي :

---

(١٩٠) المرجع نفسه ١٤٤/٢.

(١٩١) البيت لعبيدالله بن قيس الرقيات وهو من الطويل ، انظر ديوانه ٢٩٦.

(١٩٢) مغني اللبيب ٣٧٨/٢.

١–الفاعل بدل من الضمير المطابق له في الفعل
٢–الفاعل ليس فاعلا بل هو اسم مرفوع على الذم
٣–الفاعل ليس مرفوعا بفعله المذكور المطابق له ، بل هو مرفـــوع بفعـــل محذوف تقديره (يقول) أو أي صيغة أخرى له
٤–الفاعل ليس مرفوعا بل منصوبا بفعل محذوف تقديره أعني
٥–الفاعل ليس مرفوعا بل مجرورا بما قبله من الكلام
٦–الرفع على لغة أكلوني البراغيث
٧–الفاعل مبتدأمؤخر ، والفعل جملة فعلية مقدم

ومع كل هذه التأويلات ، لم نجد من اللغويين المحدثين من يفند هذه الآراء ، أو تفسيرا مناسبا لهذه الظاهرة(١٩٣) إلا أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب – رحمه الله تعالى – حيث استخدم المنهج المقارن من خلال مقارنة هذه الظاهرة بنظائرهـــا في اللغات السامية الأخرى كالعبرية والحبشية والسريانية فرأى أن العبرية تطـــابق بين الفعل وفاعله ، كما في :

(لا يقومون الأشرار بالعدل)

وكذلك في اللغة الحبية كما في :

(وعادوا الشعوب)

والأمر أيضا في السريانية كذلك مثل

---

(١٩٣) هناك من المحدثين من عرض له ه الظاهرة فقط دون دراستها ، انظر : اللغة والنحو ٦١ وفي أصول النحو ٦٥ والحديث الشريف وأثره في الدراست اللغوية ٩٢–٩٥.

ثم استنتج من هذه المقارنة أن الأصل في اللغات السامية – بما فيهـا اللغـة العربية – أن يلحق الفعل علامة التثنية والجمع للفاعل المثنى والمجموع ؛ كما تلحق علامة التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء ثم تخلصت العربية الفصـحى من هذه الظاهرة رويدا رويدا ، غير أن بقاياها ظلت حية عند بعض القبائل العربية القديمة ، كما بقيت بعض امثلتها في الفصحى وما زالت للآن في لهجات مصر فـي مثل قولهم (ازرونا لجيرا وظلموني الناس)

وقد سمى هذه الظاهرة ، الاختفاء والظهور لظاهرة لغويـة معينـة الركـام اللغوي [١٩٤].

ولعل هذا التفسير هو الأنسب في تأويل هذه اللهجة ؛ لأنـه لـم يلجـأ إلـى افتراضات ذهنية من حيث التقديم والتأخير وغيرهما بل اعتمد على المنهج المقـارن ، وبحث في جذور اللغة العربية الفصحى مقترنة بغيرها ن أخواتها الساميات ، كما سار من العربية في رحلة تطورها حتى العصر الحاضر متماثلـة فـي العاميـات والفصحى المعاصرة .

ورغم أن الحديث الشريف قد جاء منه ستة أحاديث على هذه اللهجة إلا أنه لم يشتهر إلا حديث واحد هو (يتعاقبون فيكم ملائكة) ، مع أن ثلاثة أخرى وردت في صحيح البخاري ، والخامس في مسند الإمام أحمد ويلاحظ فـي حـديث (فسـقوا الناس) أن هذ ا الجملة ليست كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو شرح لـذلك الموقف من الصحابي الذى روى الحديث ونستدل على ذلك بإيراد جزء من الحديث ونستدل على ذلك بإيراد جزء من الحديث يوضح ذلك وهو : " رسول الله صلى اله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا وشكا

([١٩٤]) انظر بحوث ومقالات في اللغة ٩٦،٧٠.

الناس كثرة المطر ، قال " اللهم حولينا ولا علينا ، فنحدر الساحبة عن رأسه فسقوا الناس حوله "

أي إن جملة الدعاء (اللهم حولينا لا علينا) من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما باقي الكلام فهو الكلام فهو وصف من الصحابي للموقف أو السياق الخارجي الذي قيلت فيه هذه الجملة السابقة .

ولا تقتصر شواهد هذه اللهجة على الحديث الشريف بل هناك من القرآن الكريم آيتان تناولهما المفسرين الذين سبقت الإشارة إليهم وهتان الآيتان هما وقله جل وعلا :

- ثم عموا وصموا كثيرا منهم (١٩٥)
- وأسروا النجوى الذين ظلموا (١٩٦)

ومن الشعر العربي نجد أيضا كثير من الأبيات المبثوثة في كتب النحاة عن معالجتهم هذه الظاهرة منها

قو أمية بن أبي الصلت

يلومنني في اشتراء النخيــ (م) ل أهلي فأكلمهم بغل (١٩٧)

قول عمرو بن ملقط :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية(١٩٨)

قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

تولي قتالي المارتين نفسه وقد أسلماه مبعد وحميم(١٩٩)

---

(١٩٥) سورة المائدة ٥/٧١.

(١٩٦) سورة الأنبياء ٢١/٦.

(١٩٧) ديوان أمية بن أبي الصلت ١٦ شرح شواهد المغني ٢٦٥ وشرح التصريح ١/١٦٠ همع الهوامع ١/١٦٠ والبيت من المتقارب وهو مدور .

(١٩٨) شرح شواهد المغني ١١٣ والصحابي ٢٨٥ وتأويل مشكل القرآن ٤١٧ والبيت من السريع.

(١٩٩) ديوان قيس الرقيات ٢٩٦ ، والبت من الطويل .

لهجة الطمطمانية

المعنى اللغوي :

كلمة الطمطمانية مشتقة من الفعل الرباعي المضعف طمطم الذي هو بمعنى عدم الافصاح يقال : طمطم فيكلامه إذا لم يفصح والطمطمانية هي العجمة ، وطم البحر إذا زاد وعم [٢٠٠]

المعنى الاصطلاحي :

لهجة من لهجات العربية القديمة ، تقلب لام مورفيم التعريف (أل) (ميما)[٢٠١]

موطنها

قبيلة حمير وطيئ والأزد [٢٠٢]

شواهدها

قوله صلى الله عليه وسلم :

(ليس من أمير امصيام في امسفر) [٢٠٣] وهو بمعنى ليس من البر الصيام في السفر

تفسيرها

لم يتعرض من القدماء أحد لتفسير هذه الظاهرة اللهجية أو التعليق عليها إلا السخاوي ، حيث نقل عنه أبو البقاء بن يعيش " في هذا الحديث يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك لم كانت هذه لغته ،

---

(٢٠٠)انظر لسان البلاغة طم ٦١٥/٢ ٦١٦ والقاموس المحيط ١٤٥/٤ والمعجم الوسيط ٥٦٩/٢ واساس البلاغة ٣٩٦.

(٢٠١) انظر لسان العرب (طم) ٦١٥/٢ والمعجم الوسيط ٥٦٩/٢ وشرح المفصل ٣٣/١٠.

(٢٠٢) انظر مجالس ثعلب ٥٨/١ والمزهر ٢٢٣/١ وفقه اللغة ١٧٣.

(٢٠٣) انظر المراجع السابقة بصفحاتها المذكورة.

أو تكون هذه لغة الراوي التي لا ينطق بغيرها لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبدل اللام ميما [٢٠٤]"

كما علق على هذه الظاهرة أياضا الأزهري فقال : والوجه ألا تثبت الألف في الكتاب لأنها ميم جعلت كالألف واللام [٢٠٥].

ويعلق ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) على هذه الظاهؤة فيرى : " أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا الحديث ومع ذلك فهو شاذ لا يقاس عليه غيره [٢٠٦]"

وواضح من هذه التعليقات أنها ليست تفسيرات لهذه الظاهرة ، فينما يحاول السخاوي نفي صدور هذه اللهجة من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجعلها رادة عن الراوي وحده نجد ان الأزهري يتكلم عن ناحية كتابيه ، ويحكم أن الميم بدل من (أل) التعريف كلها وليست من الام وحدها فقط .

ولكنهم لم يشرحوا السبب في قلب اللام ميما يفعله أي لغوي قديم[٢٠٧] ويؤدون كلام السخاوي بشأن عدم نطق النبي صل الله عليه وسلم بهذه اللهجة ، وأن تكون هي لهجة الراوي الذي روى الحديث الذي جاء عنه صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري بسنده بلفظ ليس من البر الصيام في السفر ،[٢٠٨] أما اللغويون المحثدون فلا نجد منهم من تعرض لهذه اللهجة بالشرح أو التفسير إلا استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب

---

(٢٠٤) شرح المفصل ١٠/٣٤،٣٣ والنحاة والحديث النبوي ١١٨.

(٢٠٥) المرجعان السابقان وصفحاتهما نفسها.

(٢٠٦) شرح المفصل ١٠/٣٤.

(٢٠٧)انظر مجالس ثعلب ١/٥٨ ومغني اللبيب ١/٤٨ وجمهرة اللغة ١/٢٧٤..

(٢٠٨) صحيح البخاري (كتبالصوم)٢/٢٣٨.

، حين رأى أن قلب اللام في مروفيم التعريف (أل) ميما ، حيث بسبب قرب مخارجهما حيث إن الأصوات المانعة (ل.م، ن، ر) تتناوب فيما بنهما كثيرا ، وهذا خاصا بالعربية وبعدها بل موجودا في كل اللغات السامية (٢٠٩)

ومع وجود كثير من أمثلة هذا التبادل بين هذه الفونيمات في اللغة العربية ، إلا أنه لم يورد من ذلك شيئا

ونظرة في كتب الإبدال تدل على ذلك مثل

لعل – لعن – رعل

هتل – هتن

الغيم – الغين(٢١٠)

وقد تعرض لهذه اللهجة دون أن يسميها أحد البحثين ، بل اكتفى بقوله " حسب لغة الجنوب ... وتلك لغة حمير (٢١١)

وليست هذه الظاهرة مقصورة على الحديث الشريف ، فقد كانت شائعة في الجاهلية وعصور الاحتجاج ، ومن أمثلة ورودها في غير الحديث الشريف

قول بجبر بن غنمة الطائي

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرعمي وراقي بامسمهم وامسلمه(٢١٢)

يقول بعض العرب

(٢٠٩) انظر فصول في فقه العربية ١٢٩/١٣٠.

(٢١٠) انظر الابدال ٦١/٧٧.

(٢١١) الحديث النبوي الشريف واثره في الدراسات اللغوية ٧٥.

(٢١٢) لسان العرب (ذو) ٢٠/٣٤٧ ومغني اللبيب ٤٨/١ والبيت من المنسرح.

قام امرجل أي قام الرجل [٢١٣]

خذ الرمح واركب امفرس أي الفرس[٢١٤]

---

(٢١٣) مجالس ثعلب ٢/٥٨.

(٢١٤) مغني اللليبب ١/٤٨.